عذاب المكذبين بالرسل ونصر الرسل وأتباعهم عليهم كما جاء في الكتاب والسنة

إعداد
دكتورة
منيرة بنت محمد المطلق
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
كلية التربية- قسم الدراسات الإسلامية

عذاب المكذبين بالرسل ونصر الرسل وأتباعهم عليهم كما جاء في الكتاب والسنة

إعداد
د. منيرة بنت محمد المطلق
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
كلية التربية. قسم الدراسات الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- (١)

قال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ](آل عمران:١٠٢).

وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا](النساء:١).

وقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(٧١)] (الأحزاب:٧٠-٧١).

أما بعد؛ فقد أرسل الله - عز وجل - الرسل ، وأنزل الكتب لخلقه ، فمنهم من آمن وصدق ، ومنهم من كفر فاستحق العقوبة في الدنيا والآخرة وكان ذلك دليلا

---

(١) أخرجه: مسلم ١٥٧/٦.

على صدق رسالة الرسل. وهذا من دلائل النبوة عند أهل السنة والجماعة. من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم.(١)

ونصرة الله تعالى للرسل ونجاتهم من دلائل النبوة عند أهل السنة والجماعة.

سبب اختيار الموضوع:

١- أن نصر الله للرسل ونجاتهم وأتباعهم وعذاب وهلاك المكذبين بهم من دلائل النبوة عند أهل السنة والجماعة

٢- أن البحث في عذاب الأمم العاصية يردع النفس عن الإغراق في المعاصي فهو من باب الترهيب.

٣- أن البحث في أحوال الأنبياء وأممهم يزيد من الإيمان و الهمة في الدعوة إلى الله.

منهجي في البحث:

هو الرجوع للقرآن وتفاسيره غالبا ثم السنة النبوية الشريفة والآثار.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من تمهيد وثلاثة عشر مبحثا، وفهارس، وخاتمة.

المباحث:

المبحث الأول:العذاب بالريح وفيه مطلبان.

المطلب الأول: عذاب قوم عاد بالريح.

المطلب الثاني: عذاب الأحزاب بالريح.

المبحث الثاني: العذاب بالخسف وفيه مطلبان.

المطلب الأول: عذاب قارون بالخسف.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح/ابن تيمية ج٦/ص ٣٨٧ -٣٩٣.

المطلب الأول: عذاب قوم نوح بالإغراق.

المطلب الثاني: عذاب فرعون وقومه بالإغراق.

المبحث العاشر:العذاب بالطوفان، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم.

المبحث الحادي عشر: العذاب بالهجر والنبذ.

المبحث الثاني عشر: العذاب بالتيه.

المبحث الثالث عشر:العذاب بالقحط والصرم ونقص الثمرات وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: عذاب فرعون وقومه بالقحط ونقص الثمرات.

المطلب الثاني: عذاب قريش ومضر بالقحط ونقص الثمرات.

المطلب الثالث: عذاب أصحاب الجنة بصرم زرعهم.

المطلب الرابع: عذاب صاحب الجنتين بالإحاطة بثمره.

التمهيد وفيه:

أولاً: دلائل النبوة:

إن آيات وبراهين النبوة عند أهل السنة والجماعة متعددة ومتنوعة وهي تختلف من نبي إلى آخر من حيث النوع والكثرة ويسميها النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة. (١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط بل هي أنواع كثيرة لكن الآيات نوعان ومنها ما مضى وصار معلوما بالخبر كمعجزات موسى وعيسى ومنها ما هو باق إلى اليوم كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم).(٢)

ومنها:

١- الآيات والبراهين وتسمى (بالمعجزات):

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان كما قال تعالى في قصة موسى: [فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ] {القصص:٣٢}.في العصا واليد وقال الله تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا] {النساء:١٧٤}. وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ

---

(١) انظر: الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٥/ص٤١٢.
(٢) الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٥/ص٤٢٠.

بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ(١٢٤)] {الأنعام:١٢٣-١٢٤} ، وقوله تعالى:[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] {الإسراء:١٠١}.

وقال تعالى:[وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] {النمل:١٢}.[وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى]{طه:٢٢}.وقول فرعون له:[قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]{الشعراء:٣١}. وقال قوم صالح له: [فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ(١٥٥)]{الشعراء:١٥٤-١٥٥} ، وقال:[هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً] {هود:٦٤}.

وقال المسيح:[وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] {آل عمران:٤٩}.

وقال في حق محمد:[وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٥)] {الأنعام:٤-٥}. (١)

و(لابد أن تكون آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس والجن لأن الجن هم من جملة من دعاهم الأنبياء إلى الإيمان وأرسلت الرسل إليهم قال تعالى:[يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا] {الأنعام:١٣٠}. (٢)

---

(١) انظر: الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٥/ص٤١٢-٤١٥.
(٢) النبوات/ ابن تيمية ج١/ص ٦- ٨.

٢- النظر في أحوال الأنبياء:

إن من دلائل النبي كذلك النظر في أخلاقه وصفاته وأحواله.[١] كما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مدة نشأته من الآيات والدلائل الكثيرة وقد ذكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها ومثل ما شوهد من أحواله في صغره.[٢]

٣- النظر في دعوة الرسل: [٣]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(فكذلك دلائل النبوة هي كلها تدل على صدق النبي ثم يعلم ما يخبر به النبي مَن الأمر والنهي والوعد والوعيد لأنه أخبر عن الله بذلك وهو صادق فيما يخبر به فهذا طريق صحيح عام). [٤]

٤- تصديق الأنبياء بعضهم لبعض:

(فان الأنبياء يصدق بعضهم بعضا فآية كل نبي لجميع الأنبياء كما أن آيات أتباعهم آيات لهم أيضا وهذا أيضا من آيات الأنبياء وهو تصديق بعضهم لبعض فلا يوجد من أصحاب الخوارق العجيبة التي تكون بغير الأنبياء كالسحرة والكهنة أهل الطبائع والصناعات إلا من يخالف بعضهم بعضا فيما يدعو إليه ويأمر به ويعادي بعضهم بعضا وكذلك أتباعهم إذا كانوا من أهل الاستقامة).[٥]

٥- بشارة الأنبياء بمن يأتي بعدهم: [٦]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(فقد كانت هناك بشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم و ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه...فإن دلائل نبوة النبي لا

---

(١) انظر: الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٦/ص٣٧٧ و ٤١١.
(٢) انظر: الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٦/ص ٤١١.
(٣) انظر: النبوات/ ابن تيمية ج١/ص١٦٩.
(٤) الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٦/ص٤٢٦.
(٥) النبوات/ ابن تيمية ج١/ص١٢١.
(٦) انظر: الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٢/ص٣٠.

تنحصر في أخبار من تقدمه بل دلائل النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات)[1] وقال:(فما أتى به الأول من الآيات فهو دليل على نبوته ونبوة من يبشر به وما أتى به الثاني فهو دليل على نبوته ونبوة من يصدقه ممن تقدم).[2]

٦- عذاب وإهلاك المكذبين بالرسول ونصرته وأتباعه:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما إثبات نبوة الأنبياء بما فعله بهم وبأتباعهم من النجاة والسعادة والنصرة وحسن العاقبة وما جعله لهم من لسان الصدق وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب وسوء العاقبة وإتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة فهذا يدل مع صدق الأنبياء على الرغبة في اتباعهم والرهبة من مخالفتهم ففيه العلم بصدقهم والموعظة والوعظ هو أمر ونهي بترغيب وترهيب قال تعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به). [3]

ويقول أيضا:"ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم فهذا من أعلام نبوتهم ودلائل صدقهم كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر وإهلاك قوم صالح بالصيحة وإهلاك قوم شعيب بالظلة وإهلاك قوم لوط بقلب مدينتهم ورجمهم بالجارة وكإهلاك قوم فرعون بالغرق، وقد ذكر الله هذه القصص في القرآن في غير موضع وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم كما قال تعالى لما ذكر قصة موسى: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] {الشعراء:٦٧}.ثم ذكر قصة إبراهيم وقال في آخرها: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] {الشعراء:١٠٣}.). [4]

---

(١) الجواب الصحيح/ابن تيمية ج٢/ص٣٢ ، وانظر: ج٢/ص٣٢ ، وج٦/ص٤١٠.
(٢) النبوات/ ابن تيمية ج١/ص١٢١.
(٣) الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٦/ص٤٢٦ -٤٢٧ ، وانظر: ج٦ ٣٧٧ ، وص٤١١.
(٤) الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٦/ص٣٨٧.

وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم قال في قصة فرعون:[وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ(٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ(٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ(٤٢)] {القصص:٣٩-٤٢}. ولهذا قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب وقال لمحمد-صلى الله عليه وسلم-:[وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ(٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ(٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ(٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ(٤٥)]{الحج:٤٢-٤٥}.

وقال تعالى:[وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ(٣٦)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(٣٧)] {ق:٣٦-٣٧}.

وقال تعالى:[أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ(١٠)]{الرُّوم:٩-١٠}.

وقال تعالى:[أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآَثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ(٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ(٢٢)]{غافر:٢١-٢٢}.

وقال تعالى:[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ(٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ(٨٥)] {غافر:٨٢-٨٥}.

وقال لما قص قصص نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى في سورة هود:[ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ(١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آَلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ(١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ(١٠٢)]{هود:١٠٠-١٠٢}.

ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات قال:[وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ(١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٣٨)]{الصَّفات:١٣٧-١٣٨}.وفي سورة الحجر:[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ(٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ(٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ(٧٧) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ(٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ(٧٩)]{الحجر:٧٥-٧٩}.

والإمام المبين هو الطريق المستبين الواضح بين سبحانه أن هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس يرونها بأبصارهم فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ودلالة نصر الله المؤمنين وانتقامه من الكافرين على صدق الأنبياء من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم فكون هذا فعل لأجل هذا وكون ذاك سبب هذا هو مما يعلم بالإضرار عند تصور الأمر على ما هو عليه كانقلاب

العصا حية عقب سؤال فرعون الآية وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية وأمثال ذلك). [1]

ثانياً: كثرة البشر الذين كذبوا الرسل:

لقد بعث الله في كل أمة رسولا لدعوتهم إلى الإيمان ونبذ الشرك لكن هذه الأمم عاندت واستكبرت عن إتباع الأوامر فما آمن منها إلا قليل والكثير من الأمم عاندت فاستحقت العذاب بذلك والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] (النحل: ٣٦).

وقوله تعالى:[فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ](يونس: ٨٣).

وقوله تعالى:[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ] (الحـج: ١٨).

وقوله تعالى:[وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ](البقرة:٨٣).

وقوله تعالى:[أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ

---

(١) الجواب الصحيح/ ابن تيمية ج٦/ص٣٨٧- ٣٩٣.

قالوا وَمَا لنا ألاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ](البقرة: ٢٤٦).

وقوله تعالى:[فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ](البقرة: ٢٤٩).

وقوله تعالى:[مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً](النساء: ٤٦).

وقوله تعالى:[وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا](النساء: ٦٦).

وقوله تعالى:[فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً] (النساء: ١٥٥).

وقوله تعالى:[حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ](هود: ٤٠).

لقد كان عدد البشر الذين عاندوا فاستحقوا العذاب كثيراً جداً وهؤلاء القلة المؤمنة هي التي نجت من إبليس وتلبيسه.

قال تعالى:[قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً](الإسراء: ٦٢).

ثالثاً: أســــباب نزول العذاب:

أسباب نزول العذاب عديدة منها ؛ الذنوب أو معاشرة أهل الذنوب دون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر قال تعالى: [وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] (الأعراف:١٦٤).وقال صلى الله عليه وسلم:(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على أيدي المسيء ولتأطرنه[١] على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم) [٢]. وقال ﷺ: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضــن على الخير أو ليسحتنكم [٣] الله جميعــاً بعــذاب أو ليؤمرن عليكم شــراركم ثم يدعو خيــاركم فــلا يستجاب لكم) [٤]. وقال صلــى الله عليه وسلم:(والذي نفســي بيــده لتأمرن بالمعروف وتنهون عــن المنكر أو ليوشــك الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثــم تدعون فلا يستجاب لكم) [٥] وممــا يدل على أن الذنوب سبب للهلاك قوله تعالى:[وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا

---

(١) تأطرنه: (أي تعطفوه عليه) النهاية/ابن الأثير ٥٣/١.

(٢) أخرجه: أبو داود ١٢٢/٤، والترمذي ج٥/ص٢٥٢،وقال:(هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غرِيبٌ)، وفي روايــة للطبراني في الكبير ج١٠/ص١٤٦ (وَالَّذِي نَفسِي بيده لتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ ولَتَنْهَــوُنَّ عَــن المُنْكَــر ولَتَأْخُذُنَّ على يَدِ الظَّالِمِ ولَتَأطِرُنَّهُ على الحقِّ أطرًا أو ليَضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلوبَ بَعْــضِكُمْ علــى بَعْــضٍ ولَيَلْعَنَنَّكُمْ كما لعَنَهُمْ)، وأبو يعلى في مسنده ج٨/ص٤٤٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٩/٧ (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).

(٣) يسحتكم: يقول ابن منظور في لسان العرب ٤١/٢: (السحت العــذاب ســحتناهم بلغنــا مجهودهم في المشقة عليهم.. وأسْحَت الرجل استأصل ما عنده).

(٤) أخرجه: أحمد ٣٩٠/٥ ، والطبراني في الأوسط ٩٩/٢، وقــال الهيثمــي فــي مجمــع الزوائد٢٦٦/٧: (رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حيان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها).

(٥) أخرجه: الترمذي ٤٦٨/٤، وقال (حديث حــسن)، وابــن ماجــه ١٣٢٧/٢ ، وأحمــد ٣٩١/٥، والبيهقي في الكبرى ٩٣/١٠، وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ج ٥ / ص ١٦٩: (حسن) ، وفي رواية: (ليسلطن عليكم شراركم) أخرجه: أحمــد ٥ / ٣٩٠ ، و الطبرانــي فــي الأوسط ٩٩/٢، ٣٨٨/٥.

تَدْمِيرًا](الإسراء:١٦). ومعنى(أمرنا مترفيها) أي:أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول أي: فوجب عليهم العذاب الذي أوعد الله به الكفار.[١] والمترفون هم المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش والمفسرون يقولون: هم الجبارون والمسلطون والملوك وإنما خص المترفين بالذكر لأنهم الرؤساء ومن عداهم تبع لهم، فالذنوب سبب للتخريب و الأستئصال بالهلاك والتدمير. [٢] وكل ما يقع للعبد من العذاب فهو بما كسبت يداه. قال تعالى: [فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا] (النساء:٦٢). وقال:[مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا](النساء:٧٩). وقد روي عنه ﷺ قوله حين نزلت هذه الآية: " ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر "[٣]، وقال ﷺ: " يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة في الأخرة وما عفا عنه في الدنيا"[٤].ومعنى من نفسك أي بذنبك [٥].(فالحسنات هنا النعم والسيئات المصائب).[٦] وقال:[وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ]

---

(١) انظر: جامع البيان/الطبري ج: ١٥ ص: ٥٧.
(٢) انظر: جامع البيان/الطبري ج: ١٥ ص: ٥٧، وزاد المسير/ابن الجوزي ج: ٥ ص:١٨-١٩، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٠ ص: ٢٣٤-٢٣٥.
(٣) أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان ١٥٣/٧، وهناد في الزهد ١: ٢٤٩ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ١/ ٥٢٩، والمناوي في فيض القدير ٤٩٢/٥، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤ / ٢٧٩: (ضعيف).
(٤) أخرجه: أحمد ٩٩/١، والطبراني في الأوسط ٢٠٦/٦، والبزار في مسنده ٢/ ١٢٧، وقال السيوطي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٣٩٩/٢: (إسناده جيد).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم/ابن كثير ١/ ٥٢٩.
(٦) القضاء والقدر/عمر الأشقر ٦٩.

(الشورى:٣٠). وقوله تعالى:[وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] (القصص:٤٧).

و أسباب العذاب والعقاب على التفصيل هي:

١) العقوبة على الذنوب مثل الشرك والكفر والموبقات:

لقد حرم الله الذنوب والفواحش ما كان علانية منها وما بطن[١] ومن هذه الفواحش الكفر وتكذيب الرسل وفعلها سبب لوقوع العذاب والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: [فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا(٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا(٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا(٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا(٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا(٤٠)](الفرقان:٣٦-٤٠).ومعنى آياتنا أي: بإعلامنا وأدلتنا.[٢] وقد كذبوا الرسولين فأهلكهم الله إهلاكا.([٣]) وقد دمر الله بعض الأمم بذنوبهم ومنهم أصحاب الرس وهم قوم أرسل الله إليهم نبيا فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحق[٤]وكانوا يستحسنونه لنسائهم فكان نساؤهم كلهم سحاقات.[٥] ومن هذه الأدلة أيضاً على أهلاك من كذب واستكبر عن الحق مثل فرعون وعاد وقوم لوط قوله

---

(١) انظر: جامع البيان/الطبري ١٦٦/٨.
(٢)انظر:جامع البيان/الطبري ج: ١٩ ص: ١٣، وزاد المسير/ابن الجوزي ج: ٦ ص: ٨٩.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٣ ص: ٣١.
(٤) (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من أشراط الساعة أن يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق ' أخرجه:الطبراني في الكبير ج١٠/ ص٢٢٩، وأورده: الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧/ص٣٢٣،وقال:(رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف))انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج:١٣ / ص:٣٣.
(٥) انظر: الجامع لاحكام القران/القرطبي ج: ١٣ ص: ٣٣ ، و فتح الباري/ابن حجر ج٤/ص ٣٤٠- ٣٤١.

تعالى:[كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ(١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ(١٣) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ(١٤)] (ق:١٢-١٤).

وقوله تعالى:[كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ(١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ(١٣) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ(١٤) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ(١٥)] (ص:١٢-١٥).

وقوله تعالى:[كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ] (غافر:٥). فقد أخذ الله الذين كذبوا الرسل أو هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب الأليم والعقاب الشديد و فأهلكهم فجعلهم للخلق عبرة ولمن بعدهم عظة وجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء.[1] وممن عذب سبحانه وتعالى بسبب كفرهم الأحزاب كما سبق ذكر ذلك في الآية السابقة وفي قوله تعالى:[وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ] (غافر:٣٠).[2]

وأهلك سبحانه قارون وهامان مع فرعون قال تعالى:[وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ(٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

---

(١) انظر: جامع البيان/الطبري ج٢٤:ص٤٢- ٤٣، وزاد المسير/ابن الجوزي ج٧:ص٢٠٧-٢٠٨، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج١٥:ص٢٩٣.

(٢)انظر:جامع البيان/الطبري ج٢٤:ص٦٠-٥٩ ، و زاد المسير/ابن الجوزي ج٧:ص٢١٩ ، و الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٥:ص٣١٠.

يَظْلِمُونَ(٤٠)] (العنكبوت٣٩-٤٠). من خلال هذه الآية يظهر تنوع عذاب الله للأمم المكذبة فكان لكل واحدة منها ما يناسبها.[١]

وقوله:(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)أي:أن الله لم يظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق بل إنما أهلكهم بذنوبهم وكفرهم به وجحودهم نعمه عليهم مع تتابع إحسانه عليهم وكثرة أياديه عندهم وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره ومعصيتهم من أنعم عليهم [٢] بالإقامة على المعاصي.[٣]

وقد جاء في القرآن تفصيل هذا العقاب وأنواعه وبيان الأمم المعاقبة به ، فقد عاقب الله تعالى قوم نوح بالغرق لشركهم، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:١٤). وقال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الفرقان:٣٧). وقضى على فرعون وقومه بالغرق بعد الإنذار والاعذار يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الزخرف:٥٥).وسلط الله الطاعون على اليهود عقوبة لهم ولغيرهم على معاصيهم العديدة، قال ﷺ: " الطاعون رجز وعذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم "[٤].وقال ﷺ: (كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء) [٥]. ولقد دعا رسول الله هود قومه للحق فكذبوه وخالفوه وعاندوه فأرسل

---

(١)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١٥٠ -١٥٢، و زاد المسير/ابن الجوزي ج ٥ / ص ٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ح ١٣ / ص ٣٤٤-٣٤٥، وتفسير القران العظيم/ ابن كثير ج ٦ / ص ٢٧٨.

(٢) انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١٥٢.

(٣) انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج ٥ / ص ٧٨ ، و الجامع لأحكام القران/القرطبي ج ١٣ / ص ٣٤٥.

(٤) أخرجه: مسلم: ٤/ ١٧٣٧.

(٥) أخرجه: البخاري: ٦/ ٢٤٤١.

الله عليهم ريحاً شديدة الهبوب ذات بردٍ شديد.[1] قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة:٦).وعاقب الله قوم نبي الله صالح وهود ولوط عليهم السلام وقوم الرجل المؤمن بالصيحة ، قال تعالى:﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(هود: ٩٤). [2][3] وما كان حال قوم رسول الله شعيب بأحسن منهم عندما كفروا بالله فإنه تعالى حبس عليهم الريح سبعة أيام بلياليهن وأخذتهم الظلة زيادة على الصيحة، وأهلك أصحاب الفيل بالحجارة قال تعالى: ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الفيل:٤).

٢) العقوبة على الذنوب التي دون الشرك والكفر الأكبر: [4]

وقد توعد المصطفى ﷺ أمته بالعذاب من الله إن هم أعلنوا بالمعاصي فقال: " إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله – عز وجل – بعذابٍ من عنده فقالت عائشة[5]: يا رسول الله أما فيهم يومئذٍ أناس صالحون؟ قال بلى، قالت فكيف يصنع أولئك ؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان"[6] وقال ﷺ مبينا أن ظهور الفاحشة والإعلان والجهور بها يسبب المصائب: (يا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إذا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لم تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ حتى يُعْلِنُوا بها إلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ولم يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلا

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج٣ / ص٣٤٣.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي.
(٣) انظر: جامع البيان/الطبري: ٨/ ٢٣٢.
(٤) انظر: جامع البيان/الطبري ٢٧/٢٣٥.
(٥) هي: أم المؤمنين، توفيت (٥٧هـ).
(٦) أخرجه: أحمد: ٦/٣٠٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٦٨: (رواه أحمد بإسنادين أحدهما رجال الصحيح) وفي رواية (ما ظهرت فاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم قط الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر) أخرجه: الحاكم ٢/١٣٦، وقال: (حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٦٦: (رواه البزاز ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد وهو ثقة).

أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عليهم ولم يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ من السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لم يُمْطَرُوا ولم يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إلا سَلَّطَ الله عليهم عَدُوًّا من غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ ما في أَيْدِيهِمْ وما لم تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إلا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ).[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إذا استحلت أمتي ستا فعليهم الدمار إذا ظهر فيهم التلاعن وشربوا الخمور ولبسوا الحرير واتخذوا القيان واكتفى النساء بالنساء.[2]

يتبين من هذه الأحاديث أن الدمار والقحط والحروب والطاعون وكثرة الموت وتسلط الأعداء واختلاف الأقوام فيما بينهم قد تقع عقوبة بسبب المعصية.وفي الصحيح من حديث زينب بنت جحش[3] زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت:خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول:(لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل

---

(١) أخرجه: ابن ماجه ج٢/ص١٣٣٢، والطبراني في الأوسط ج٥/ص٦٢، والحاكم ج٤/ص٥٨٣، وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، وأورده: ابن حجر في فتح الباري ج:١٠ ص:١٩٢، وقال ابن حجر: **(وفي إسناده خالد بن يزيد بن أبي مالك وكان من فقهاء الشام لكنه ضعيف عند أحمد وبن معين وغيرهما ووثقه أحمد بن صالح المصري وأبو زرعة الدمشقي وقال ا بن حبان كان يخطئ كثيراً وله شاهد عن ابن عباس في الموطأ (بلفظ ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت) الحديث وفيه انقطاع وأخرجه الحاكم من وجه آخر موصولا بلفظ:(إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) ، وللطبراني موصولا من وجه آخر عن بن عباس نحو سياق مالك وفي سنده مقال وله من حديث عمرو بن العاص بلفظ(ما من قوم يظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالفناء) الحديث وسنده ضعيف وفي حديث بريدة عند الحاكم بسند جيد بلفظ (ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت) ولأحمد من حديث عائشة مرفوعا (لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعقاب) وسنده حسن).**

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط ج٢/ص١٨، وقال(لم يرو هذا الحديث عن عروة إلا عباد تفرد به النفيلي) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧/ص٣٣١، وقال:(رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير الرملي وثقه ابن معين وغيره وضعفه جماعة).

(٣)هي: أم المؤمنين، توفيت (٢٠هـ).

هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث).[1]

ويأجوج ومأجوج من علامات واشراط الساعة الكبرى يخرجون بعد قتل عيسى عليه السلام للمسيح الدجال [2] وقد قال رسوا الله صلى الله عليه وسلم:(وَيَبْعَثُ الله يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ وَهُمْ من كل حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ على بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فيها وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لقد كان بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حتى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا من مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ الله عليهم النَّغَفَ[3]في رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فرسي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأرض فلا يَجِدُونَ في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى اللَّهِ فَيُرْسِلُ الله طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لَا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حتى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ من الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ حتى أَنَّ اللِّقْحَةَ من الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ من الناس وَاللِّقْحَةَ من الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ من الناس وَاللِّقْحَةَ من الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ من الناس فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كل مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ الناس يَتَهَارَجُونَ فيها تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ).[4]

---

(١) أخرجه: البخاري ج٦/ص٢٥٨٩، و مسلم ج٤/ص٢٢٠٨ ، واللفظ له.
(٢) أخرجه: مسلم ج٤/ص٢٢٥٣.
(٣) (النغف بالتحرك دود يكون في أنوف الإبل والغنم واحدها نغفة) النهاية /ابن الأثير ج٥/ص٨٦.
(٤) أخرجه: مسلم ج٤/ص٢٢٥٤.

وقال -صلى الله عليه وسلم- مبيناً أن الذنوب سبب للهلاك حتى ولو كان هناك صالحون بينهم:(يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ[1] من الأرض يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ قالت: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ[2] وَمَنْ ليس منهم قال يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ على نِيَّاتِهِمْ).[3]

وفي رواية أخرى:(يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إليه بَعْثٌ فإذا كَانُوا بِبَيْدَاءَ من الأرض خُسِفَ بِهِمْ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ: فَكَيْفَ بِمَنْ كان كَارِهًا قال: يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يوم الْقِيَامَةِ على نِيَّتِهِ) [4] والبيداء:هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ. يظهر من الأحاديث السابقة أن الله يهلك و يخسف بالجميع الصالح والطالح لشؤم الأشرار ثم يعامل كل أحد عند الحساب بحسب قصده فدل على أن من كَثَّر سواد قوم في المعصية مختارا فأن العقوبة تلزمه معهم وفي الحديث التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك[5] وقال أيضاً ﷺ: " ألا أن الله ليمنع العبد الرزق بذنب يصيبه "[6]،وروي عنه ﷺ قوله(الزنى يورث الفقر).[7]

---

(١) (البيداء المفازة لا شيء بها وهي ههنا اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة وأكثر ما ترد ويراد بها هذه ومنه الحديث(إن قوما يغزون البيت فإذا نزلوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول يا بيداء أبيديهم فتخسف بهم) أي أهلكيهم) لسان العرب/ابن منظور ج٣:ص٩٧.

(٢) (السوق موضع البياعات) لسان العرب/ابن منظور ج١٠:ص١٦٧،و((فيهم أسواقهم) جملة حالية وهو جمع سوق والتقدير أهل أسواقهم الذين يبيعون ويشترون كما في المدن) عمدة القاري/العيني ج١١/ص٢٣٦.

(٣) أخرجه: البخاري ج٢/ص٧٤٦ ، واللفظ له ، و مسلم ج٤/ص٢٢٠٨.

(٤) أخرجه: مسلم ج٤/ص٢٢٠٨.

(٥) انظر: فتح الباري/ابن حجر ج٤/ص ٣٤٠- ٣٤١، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٠ ص٢٣٥.

(٦) أخرجه: ابن ماجه ١٣٣٤/٢ ، وأحمد ٥/ ٢٧٧، والحاكم ٥٤٨/٣، وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٧) أخرجه: الديلمي في الفردوس ٣٠٢/٢، والشهاب في مسنده ج١/ ص٧٣ ، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب١٤٣٢: (منكر).

وقال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليهـا بذكر الإلـه فإن الإله سريع النقـم.[1]

وقد بين الإمام ابن القيم فوائد الابتلاء وأن منها تكفير السيئات بقوله:(إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء

التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه).[2]

المباحث:

المبحث الأول: العذاب بالريح وفيه مطلبان:

و معنى الريح في اللغة:

الريح نسيم الهواء وكذلك نسيم كل شيء والريح واحدة الرياح وأرواح وتقول رحت منه رائحة طيبة أي وجدتها طيبة والرائحة ريح طيبة ويوم ريح طيب ذو روح ويوم راح ذو ريح شديدة[3].

و معنى الريح في الاصطلاح:

الريح هي: الرياح الشديدة العصوف المهلكة.[4] لذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول:(إذا هاجت الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها

---

(١) أورده: البيهقي في الشعب ٤/ ١٣٢، وديوان علي بن أبـي طالـب رضـي الله عنـه ١/١٤٥، والبيت لعلي رضي الله عنه.
(٢) إغاثة اللهفان/ابن القيم ١/٨٨، ٢ / ١٨٩.
(٣) انظر: العين/الفراهيدي ج: ٣ ص: ٢٩٢، ولسان العرب/ابن منظور ج: ٢ ص: ٤٥٥.
(٤) انظر: جامع البيان/الطبري ج٢٩/ص٤٩-٥٠ ، والجـامع لأحكـام القـرآن/القرطبـي ج١٨/ص٢٥٩.

ريحا)[١] والعرب تقول لا تلقح السحاب إلا من رياح مختلفة يريد اجعلها لقاحا للسحاب ولا تجعلها عذابا. [٢]

المطلب الأول عذاب عاد بالريح:

الأدلـــــــــــــة:

أرسل الله إلى عاد نبيه هودا فكذبوه وعصوا أمر الله فأرسل الله عليهم ريحا لم تبق عليهم ولم تذر ونجى الله -عز وجل- نبيه ومن آمن معه منهم ولم يطلهم العذاب الواقع بهم وقد ذكر الله ذلك في مواضع من كتابه منها.

أولا: قوله تعالى: [وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٢١)قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آَلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٢) قَالَ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ(٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٤)](الأحقاف:٢١- ٢٤).

وكانت ديارهم الأحقاف[٣] وهي الرمال العظام ، وقال قتادة [٤] هي جبال[٥] ودعاهم إلى عبادة الله وخوفهم من عذاب يوم عظيم.[٦] لكنهم كانوا قوم سوء معاندين فكذبوه وعصوا أمر الله وقالوا لهود فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير ج١١/ص٢١٣، وأبو يعلى في مسنده ج٤/ص٣٤١ ، وأورده: الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠/ص١٣٥-١٣٦، وقال:(رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش وهو متروك وقد وثقه حصين بن نمير وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٢) انظر: النهاية /ابن الأثير ج٢/ص٢٧٢.

(٣) قال الأزهري:(... وأما الأحقاف فهي رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها) لسان العرب/ابن منظور ج٩:ص٥٢.

(٤) هو: قتادة بن دعامه السدوسي، عالم بالتفسير ، ت:١١٧هـ. انظر ميزان الاعتدال/الذهبي ٣٨٥/٣، وتذكرة الحفاظ/الذهبي ١٢٢/١.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٦ ص: ٢٠٣.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٦ ص: ٢٠٤.

فأرسل الله عليهم ريحا لم تبقي عليهم ولم تذر وكانوا عندما رأوا العارض.[١] حسبوه سحابا فيه الغيث وأنه ممطرهم وكان المطر قد أبطأ عنهم فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا وكان قد جاءهم من واد جرت العادة أن ما جاء منه يكون غيثا [٢] فكان ما استعجلوه من العذاب ريحا فيها عذاب أليم نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه ونجى الله هوداً فخرج من بين أظهرهم هو ومن آمن به فجعلت تحمل الفساطيط[٣] وتحمل الظعينة[٤] فترفعها كأنها جرادة ثم تضرب بها الصخور فأغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم داخل بيوتهم وأسرابهم فهي تدمر وتهلك بأمر ربها كل شيء مرت عليه من رجال عاد وأموالهم.[٥]

ثانياً: قوله تعالى:[وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ(٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ(٤٢)] (الذاريات:٤١-٤٢).لقد بعث الله عليهم ريحا عقيما وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة ومنه امرأة عقيم لاتحمل ولا تلد أو المفسدة التي لا تنتج شيئا.قاله الضحاك[٦]،

---

(١) (العارض من كل شيء ما استقبلك) العين/الفراهيدي ج: ١ ص: ٢٧١ ، وانظر: مختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ١٧٨، وقال ابن منظور في لسان العرب ج:٧ ص ١٧٤:(السحاب الذي يعترض في أفق السماء وقيل العارض ما سد الأفق).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٦ ص: ٢٠٥.

(٣) (الفسطاط ضرب من الأبنية والفستاط لغة فيه التاء بدل من الطاء لقولهم في الجمع فساطيط ولم يقولوا في الجمع فساتيط) لسان العرب/ابن منظورج٧:ص٣٧١.

(٤) (أصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها... وقيل للمرأة ظعينة..وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظعينة...) النهاية/ابن الأثير ج٣:ص١٥٧، وانظر: مختار الصحاح/الرازي ج١:ص١٧٠،ولسان العرب/ابن منظور ج١٣:ص٢٧١.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج: ١٦ ص: ٢٠٦، و زاد المسير/ابن الجوزي ج ٥ / ص ٣٦٧ ، و تفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج ٧ / ص ٢٨٦.

(٦) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك السلمي الترمذي ، الضرير الإمام البارع ، له مصنفات منها: (الجامع ، والعليل) ، ت:٢٧٠. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣.

وقتادة، وغيرهما. وقال سعيد بن المسيب[١]:الريح العقيم هي: الجنوب وقال مقاتل[٢]:هي الدبور[٣] كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالصبا[٤] وأهلكت عاد بالدبور)[٥].وقال ابن عباس: (هي النكباء[٦]).[٧] فجعلهم كالرميم أي:كالشيء الهالك الهشيم البالي.يقال للنبت إذا يبس وتفتت رميم وهشيم

(١) هو: أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن القريشي ويقال المسيب بفتح الياء وكسرها والفتح هو المشهور وحكي عنه إنه كان يكرهه ومذهب أهل المدينة الكسر واتفق العلماء على إمامته وجلالته وتقدمه في العلم والفضيلة ووجوه الخير وكان رأس أهل المدينة في دهره ومن أجل التابعين قال أحمد بن حنبل أفضل التابعين سعيد بن المسيب، ت:٩٣هـ. انظر: تهذيب الأسماء/ النووي ٢١٢-٢١٣.

(٢) هو: ابن سليمان بن كثير الأزدي الخرساني ، أبو الحسن البلخي المفسر، كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم والتشبيه من الطبقة السابعة ، روى عن مجاهد وعطاء بن رباح وغيرهم ، من مؤلفاته: الناسخ والمنسوخ ، والتفسير الكبير ، ومتشابه القرآن ، ت:١٥٠ .. انظر: طبقات المفسرين/للداودي ٢/٣٣٠- ٣٣١، والفهرست/ابن النديم ١٧٩، وفيات الأعيان /ابن خلكان ٤/٣٤١، وميزان الاعتدال/الذهبي ٤/١٧٣، وتاريخ بغداد/ أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ١٣/١٦٠، وتهذيب التهذيب/ابن حجر ١٠/٢٧٩، وتقريب التهذيب/ابن حجر ٥٤٥.

(٣) (الدبور ريح تأتي من دبر الكعبة مما يذهب نحو المشرق..والدبور بالفتح الريح التي تقابل الصبا والقبول وهي ريح تهب من نحو المغرب والصبا تقابلها من ناحية المشرق) لسان العرب/ابن منظور ج٤/ص٢٧١-٢٧٢.

(٤)(قوله نصرت بالصبا... هي الريح الشرقية وهي القبول وهي التي تأتي من الشرق) مشارق الأنوار/ القاضي عياض ج٢/ص٣٨.

(٥)أخرجه: البخاري ج١/ص٣٥٠، و مسلم ج٢/ص٦١٧.

(٦) (الرِّياح أربعٌ فنَكْبَاءُ الصَّبَا والجَنوب مِهْيَافٌ مِلْوَاحٌ مِيبَاسٌ للبَقْلِ وهي التي تَجيءُ بين الرِّيحيْن ونَكْبَاءُ الشَّمال مِعْجَاج مِصْرَادُ لا مطر فيها ولا خَيرَ وهي قَرَّةٌ وربما كان معها مطرٌ قليلٌ ونكباءُ الدَّبُور والجَنوب حارَّةٌ) تهذيب اللغة/ الأزهري ج١٠/ ص ١٥٨-١٥٩.

(٧)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج ١٧ / ص ٥٠.

قاله ابن عباس وقاله مجاهد[1]، وقال السدي[2]:أي: كالتراب المدقوق أو الرماد وأصل الكلمة من رم العظم إذا بلي.[3]

ثالثا: قوله تعالى:[فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآَخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ(١٦)](فصلت:١٥-١٦).

من هذه الآيات يتبين أن:سبب عذاب عاد: هو الاستكبار فقد تكبروا عن الإيمان بالله وعملوا بغير الحق وكان هود قد تهددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا فكذبوا بالحجج والأدلة والبراهين الواضحة. [4] فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً وقد اختلف أهل التأويل في معنى الصرصر على **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها ريح شديدة الصوت وممن قال به مجاهد والسدي وأبو عبيدة وابن قتيبة.

الثاني: أنها الشديدة السموم قاله مجاهد .

الثالث: أنها الباردة وممن قال بذلك ابن عباس وقتادة والضحاك وقال

---

(١)هو: مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج القارئ إمام التفسير ثقة، ت: ١٠٣هـ، انظر التاريخ الكبير للبخاري: ٤١١/٧، والتقريب لابن حجر: ٢٢٩/٢.

(٢)هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذئب السدي الكبير الأعور حجازي الأصل سكن الكوفة وهو ثقة مأمون روى عنه الثوري وشعبة وغيرهما وكان إسماعيل بن أبي خالد يقول السدي أعلم بالقرآن من الشعبي وأدرك جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ت: ١٢٧هـ. انظر: الأنساب/السمعاني ٢٣٨/٣-٢٣٩.

(٣)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ١٧ ص: ٥٠ - ٥١ ، و تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج ٧ / ص ٤.

(٤)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج: ٧ ص: ٢٤٧.

الفراء[١]هي الريح الباردة تحرق كالنار وكذلك قال الزجاج[٢] وقال مقاتل: هي الشديدة البرد جدا. ويقول الطبري :(أن صرصرا إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة فسمع لها كقول القائل صرر[٣] ومنه صر القلم والباب والجندب يصر صريرا و صرصر أي صوت ويجوز أن يكون من الصر وهو البرد عامة ويجوز أن يكون من صرير الباب ومن الصرة وهي الضجة قال عز وجل:[فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ...](الذاريات:٢٩).)[٤] والصَرة بالفتح الصيحة.[٥] ولا يمنع اجتماع هذه المعاني زيادة في العذاب والنكاية بهم فهي ريح شديدة الصوت تصم الأذان وتنزع الأفئدة وشديدة السموم وشديدة البرد جدا تجمد الدم في العروق فالمقصود بها الإهلاك لكل ما هو حي.قال تعالى: [مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ](آل عمران:١١٧).فالريح التي فيها صر أو صرصر تهلك الحرث والنسل.

وقد ذكر الله – عز وجل– أنه بعث العذاب(فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال ابن عباس : أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب)و قال مجاهد:(أيام نحسات قال مشائيم)وعن

---

(١)هو : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي صاحب الكسائي ، قال بعضهم : الفراء أمير المؤمنين في النحو ، ت:٢٠٧□ . سير أعلام النبلاء/الذهبي ١١٨/١٠، مراتب النحويين/أبي الطيب اللغوي٨٦ ، فهرست ابن النديم ٧٣ ، الأعلام/الزركلي ١٤٢/٨.

(٢)هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أحد نحاة البصرة المشهورين، واللغوي والمفسر، من تصانيفه (معاني القرآن) و(الاشتقاق) ، ت: ٣١١هـ . انظر : معجم الأدباء/ياقوت الحموي ج١/ص٨٣ -٩٦ ، و طبقات المفسرين / الداودي ج١/ص٥٢.

(٣)جامع البيان/الطبري ج:٢٤ ص:١٠٢.

(٤)انظر : جامع البيان / الطبري ج٢٤:ص١٠٢ و ج٢٧/ص٩٧ ، وزاد المسير / ابن الجوزي ج٧/ص٢٤٧، و الجامع لأحكام القران / القرطبي ج١٥/ص ٣٤٧، و لسان العرب/ابن منظور ج: ٤ ص: ٤٥٠ ، و مختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ١٥١.

(٥)انظر : مختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ١٥١.

قتادة قال: النحسات المشؤومات النكدات فقد أرسل الله عليهم ريح شر ليس فيها من الخير شيء وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها أيام مشائيم ذات نحوس لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب .(١)

وهذا عذابه في الدنيا وقد توعدهم في الآخرة بعذاب أخزى لهم . وأشد إهانة وإذلالا. (٢)

رابعاً :قوله تعالى:[كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩)]

(القمر:١٨-١٩).

يظهر من الآيات أن : سبب عقاب قوم عاد هو :أنهم تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله (٣).وأن عقابهم كان ريحا شديدة سلطها الله عليهم في يوم شر عليهم وشؤم لهم لأن هذا البلاء والعقاب أهلكهم وهو مستمر بهم إلى أن يوافى بهم جهنم.(٤)

خامساً : قوله تعالى:[وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ(٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا

فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ(٨)](الحاقة ٦-٨).

---

(١)انظر : جامع البيان/الطبري ج٢٤:ص١٠٣، وانظر : الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٥/ص٣٤٧.

(٢)انظر : جامع البيان/الطبري ج٢٤:ص١٠٤، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٥/ص٣٤٨.

(٣)انظر : جامع البيان/الطبري ج٢٧/ص٩٧.

(٤)انظر : جامع البيان/الطبري ج٢٧/ص٩٨ ، و زاد المسير/ابن الجوزي ج٨/ص٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٧/ص١٣٥-١٣٦.

أهلك الله عاداً بالريح الشديدة العصوف الباردة المهلكة فهي مع شدة بردها عاتية[1] وقد عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة فكانت دائمة لا تفتر فتجاوزت في الشدة والعصوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد .[2] وسلطها الله عليهم في أيام حسوما ومعنى حسوم على ثلاثة أقوال :

أحدها: تباعا قاله ابن عباس فيقال في الشيء إذا تتابع فلم ينقطع أوله عن آخره : حسوماً وإنما أخذ والله أعلم من حسم الداء إذا كوي صاحبه لأنه يحمى ثم يكوى ثم يتابع الكي عليه حتى ينقطع الداء .

الثاني: كاملة قاله الضحاك فيكون المعنى أنها حسمت الليالي والأيام فاستوفتها على الكمال لأنها ظهرت مع طلوع الشمس وذهبت مع غروبها في اليوم الثامن.[3] فقبضت أرواحهم في ذلك اليوم .

الثالث: أنها حسمتهم فلم تبق منهم أحدا أي أذهبتهم وأفنتهم هذا قول ابن زيد ، ولا منع من اجتماع هذه المعاني في حقهم فقد تتابعت عليهم بسبع ليالٍ وثمانية أيام فحسمتهم وصرعتهم فكانوا كأنهم أصول نخل بالية فلم يكن لهم من بقية .[4]

المطلب الثاني : عذاب الأحزاب بالريح :

(الحزب أيضا الطائفة و تحزبوا تجمعوا و الأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام). [5]

---

(١)(عاتية : أي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقيل عتت على عاد فقهرتهم) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٨:ص٢٥٩. (عَتَتِ الرِّيحُ جاوَزَتْ مقدارَ هُبوبها) تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ج٣٨:ص٥٣٤.

(٢)انظر : جامع البيان/الطبري ج٢٩/ص٤٩-٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٨/ص٢٥٩.

(٣)انظر : زاد المسير/ابن الجوزي ج٨:ص٣٤٦.

(٤)انظر : زاد المسير/ابن الجوزي ج٨:ص٣٤٧.

(٥)مختار الصحاح ج١/ص٥٦.

وقد سبق ذكر الأحزاب(١) الذين سبقوا بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا المطلب ذكر عذاب الأحزاب الذين اجتمعوا على معاداة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

والدليل : قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (الأحزاب: ٩).

لقد عاقب الله الأحزاب وهم قريش(٢) وغطفان ويهود بني النضير(٣) عندما تحزبوا ضد المسلمين يوم غزوة الخندق(٤) فأرسل الريح عليهم نصرة لعباده . فقد حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق بضع عشرة ليلة فعظم البلاء عليهم فقال الصحابة:يا رسول الله قد بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقوله قال:(نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا).(٥) فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله بها فقال أبو سفيان: يا

(١)انظر أسباب العذاب الفقرة رقم(١)

(٢)(قريش وهم ولد فهر بن مالك بن كنانة الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه) المحلى لابن حزم ج١:ص٤٤.

(٣)(هم قبيلة من يهود المدينة وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد موادعة وقال ابن إسحاق : قريظة والنضير والنحام وعمو هم أصول بني الخزرج بن الصريح بن التومان ابن السمط بن أليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النحام بن تخوم بن عازر بن عزراء بن هارون بن عمران بن يصهر بن فاهث ابن لاوي بن يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام) عمدة القاري/العيني ج١٧:ص١٢٥.

(٤)كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة وكان سببها أن نفرا من اليهود حزبوا الأحزاب وألبوا وجمعوا وأتوا مكة فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ثم خرج اليهود إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على فزارة والحارث بن عوف المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة على أشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم إليه شاور أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضي رأيه) انظر : الاستيعاب/ ابن عبد البر ج١:ص١٦٩.

(٥)أخرجه : أحمد ج٣/ص٣ ، والتبريزي في مشكاة المصابيح ج٢/ص٧٥٨، وأورده : الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠/ص١٣٦، وقال:(رواه أحمد والبزار وإسناد البزار متصل ورجاله ثقات وكذلك رجال أحمد إلا أن في نسختين من المسند عن ربيح بن أبي سعيد عن أبيه وهو في البزار عن أبيه عن جده) .

معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع [١] والخف[٢] واختلفت بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم فقد أرسل الله على الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله وصحبه ريحا شديدة كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم[٣] فبعث الله عليهم الرعب والريح فأصبح سيد كل حي يقول : يا بني فلان النجاء وكانت الملائكة مع الريح المرسلة فأصبحت العساكر وقد أقشعت كلها فانهزموا من غير قتال. [٤]

المبحث الثاني : العذاب بالخسف وفيه مطلبان :

و معنى :الخسف في اللغة :

الخسف: غور الأرض بما عليها من الأشياء ، وعين خاسفة فقئت وغابت حدقتها، وناقة خسيف غزيرة سريعة الانقطاع من اللبن في الشتاء ،والخسيف من السحاب ما نشأ من قبل المغرب عن يمين القبلة وفيه ماء كثير ، وخسوف الشمس يوم القيامة تكورها والخسف تحميلك إنسانا ما يكره والخسف الجور[٥]

---

(١)كناية عن الغنم .

(٢)كناية عن البعير .

(٣)(أظعنه : سيره) المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ج٢:ص٥٧٦.

(٤)انظر : جامع البيان / الطبري ج٢١:ص١٢٦-١٢٩، وزاد المسير/ابن الجوزي ج٦:ص ٣٥٦ -٣٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٤:ص١٢٨:١٤٤ .

(٥)انظر : العين/ الفراهيدي : ج ٤ ص: ٢٠١ .

ويقول الرازي :(خسف المكان ذهب في الأرض ... وخسف الله به الأرض ... أي غاب به فيها ومنه قوله تعالى:[فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ](سورة القصص ٨١) ... و خسوف القمر كسوفه).[١]

ثانياً : الخسف في الاصطلاح :

خسف المكان أي ذهابه وغوره إلى قعر الأرض . [٢]

المطلب الأول : عذاب قارون بالخسف :

الخسف عقاب من الله لقارون وكان الجزاء من جنس العمل فقد تطاول واستكبر واستعلى فأخذ من الأسفل وخسف به وبما يملك ونصر الله تعالى موسى والمستضعفين معه ونجاهم من الكافرين ومما حصل لهم . [٣]

الأدلـــــــــة :

أولا : قوله تعالى:[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ(٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ

---

(١)مختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ٧٤ ، وانظر : العين/الفراهيدي ج: ٤ ص: ٢٠٢.
(٢)دستور العلماء/ القاضي ج٢/ص٥٧ .
(٣)انظر : جامع البيان/ الطبري ج٢٠/ص١١٦ .

وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ(٨١)](القصص:٧٦-٨١).

لقد كان قارون من بني إسرائيل فطغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته لما تفضل الله عليه بالمال الوفير، فغضب موسى عليه لبغيه فدعا عليه فخسف الله به وبداره الأرض فغاب فيها،فهو يتجلجل[١] فيها إلى يوم القيامة.[٢] وما كان له جماعة يدفعون ذلك عنه ولم يدفع هو عن نفسه ما نزل به من الخسف [٣] . ولم يقتصر الخسف على قارون بل طال داره وأهل داره وأخذ من كان معه من جلسائه في داره وكانوا جماعة جلوسا معه وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى. [٤] الذي جاءهم بالبينات الواضحات من الآيات كما جاء فرعون وهامان فاستكبروا في الأرض مثل قارون وعن التصديق بالبينات من الآيات وعن إتباع موسى صلوات الله عليه وما كانوا ليفوتون على الله بل كان سبحانه قادرا عليهم.[٥] فأخذ الله جميع هذه الأمم فمنهم من أرسل عليه حاصبا وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود ومنهم من أخذته الصيحة وهم ثمود وقوم شعيب ومنهم من

---

(١)يتجلجل: (يتحرك وينزل مضطربًا)، شرح النووي على صحيح مسلم ٦٤/١٤، ويقول ابن منظور في لسان العرب ١٢٢/١١: (يتجلجل يتحرك فيها أي يغوص في الأرض حين خسف به، والجلجلة: الحركة مع الصوت) .

(٢)انظر : جامع البيان / الطبري ج: ٢٠ ص: ١١٦ ١١٧ ، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج: ١٣ ص: ٣١٧ ، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج ٦ / ص ٢٧٨ ، وفتح القدير/ الشوكاني ج ٥ / ص ٤٢٣ .

(٣)فتح القدير/الشوكاني ج ٥ / ص ٤٢٣ .

(٤)انظر : جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١١٦ ، والجامع لأحكام القران/ القرطبي ج: ١٣ ص: ٣١٧ .

(٥)جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١٥٠.

خسف به الأرض يعني بذلك قارون ومنهم من أغرق وهم قوم نوح وفرعون وقومه.[1] قال تعالى وهو الدليل الثاني :[وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٤٠)](العنكبوت:٣٩-٤٠).

المطلب الثاني: عذاب الأحزاب بالريح:

(الحزب أيضا الطائفة و تحزبوا تجمعوا و الأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام). [2]

---

(١)انظر : جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١٥٠.
(٢)مختار الصحاح ج١/ص٥٦.

وقد سبق ذكر الأحزاب[١] الذين سبقوا بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا المطلب ذكر عذاب الأحزاب الذين اجتمعوا على معاداة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

والدليل: قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (الأحزاب: ٩).

لقد عاقب الله الأحزاب وهم قريش[٢] وغطفان ويهود بني النضير[٣] عندما تحزبوا ضد المسلمين يوم غزوة الخندق[٤] فأرسل الريح عليهم نصرة لعباده. فقد حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق بضع عشرة ليلة فعظم البلاء عليهم فقال الصحابة:يا رسول الله قد بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء تقوله قال:(نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا).[٥] فضرب الله

---

(١)انظر أسباب العذاب الفقرة رقم(١)

(٢)(قريش وهم ولد فهر بن مالك بن كنانة الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه) المحلى لابن حزم ج١:ص٤٤.

(٣)(هم قبيلة من يهود المدينة وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد موادعة وقال ابن إسحاق: قريظة والنضير والنحام وعمو هم أصول بني الخزرج بن الصريح بن التومان ابن السمط بن أليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النحام بن تخوم بن عازر بن عزراء بن هارون بن عمران بن يصهر بن فاهث ابن لاوي بن يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام) عمدة القاري/العيني ج١٧:ص١٢٥.

(٤)كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة وكان سببها أن نفرا من اليهود حزبوا الأحزاب وألبوا وجمعوا وأتوا مكة فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ثم خرج اليهود إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على فزارة والحارث بن عوف المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة على أشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم إليه شاور أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضي رأيه) انظر: الاستيعاب/ ابن عبد البر ج١:ص١٦٩.

(٥)أخرجه: أحمد ج٣/ص٣ ، والتبريزي في مشكاة المصابيح ج٢/ص٧٥٨، وأورده: الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠/ص١٣٦، وقال:(رواه أحمد والبزار وإسناد البزار متصل ورجاله ثقات وكذلك رجال

وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله بها فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع [١] والخف[٢] واختلفت بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم فقد أرسل الله على الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله وصحبه ريحا شديدة كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم[٣] فبعث الله عليهم الرعب والريح فأصبح سيد كل حي يقول: يا بني فلان النجاء وكانت الملائكة مع الريح المرسلة فأصبحت العساكر وقد أقشعت كلها فانهزموا من غير قتال. [٤]

المبحث الثاني: العذاب بالخسف وفيه مطلبان:

و معنى:الخسف في اللغة:

الخسف: غور الأرض بما عليها من الأشياء ، وعين خاسفة فقئت وغابت حدقتها، وناقة خسيف غزيرة سريعة الانقطاع من اللبن في الشتاء ،والخسيف من السحاب ما نشأ من قبل المغرب عن يمين القبلة وفيه ماء كثير ، وخسوف الشمس يوم القيامة تكورها والخسف تحميلك إنسانا ما يكره والخسف الجور [٥]

-أحمد إلا أن في نسختين من المسند عن ربيح بن أبي سعيد عن أبيه وهو في البزار عن أبيه عن جده).

(١)كناية عن الغنم.

(٢)كناية عن البعير.

(٣)(أظعنه: سيره) المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ج٢:ص٥٧٦.

(٤)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢١:ص١٢٦-١٢٩، وزاد المسير/ابن الجوزي ج٦:ص ٣٥٦ -٣٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٤:ص١٢٨:١٤٤.

(٥)انظر: العين/ الفراهيدي: ج ٤ ص: ٢٠١.

ويقول الرازي:(خسف المكان ذهب في الأرض... وخسف الله به الأرض... أي غاب به فيها ومنه قوله تعالى:[فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ](سورة القصص٨١)... و خسوف القمر كسوفه).[١]

ثانياً: الخسف في الاصطلاح:

خسف المكان أي ذهابه وغوره إلى قعر الأرض. [٢]

المطلب الأول: عذاب قارون بالخسف:

الخسف عقابٍ من الله لقارون وكان الجزاء من جنس العمل فقد تطاول واستكبر واستعلى فأخذ من الأسفل وخسف به وبما يملك ونصر الله تعالى موسى والمستضعفين معه ونجاهم من الكافرين ومما حصل لهم. [٣]

الأدلـــــــــــة:

أولاً: قوله تعالى:[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ(٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ

---

(١)مختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ٧٤ ، وانظر: العين/الفراهيدي ج: ٤ ص: ٢٠٢.
(٢)دستور العلماء/ القاضي ج٢/ص٥٧.
(٣)انظر: جامع البيان/ الطبري ج٢٠/ص١١٦.

وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ(٨١)](القصص:٧٦-٨١).

لقد كان قارون من بني إسرائيل فطغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته لما تفضل الله عليه بالمال الوفير، فغضب موسى عليه لبغيه فدعا عليه فخسف الله به وبداره الأرض فغاب فيها،فهو يتجلجل[١] فيها إلى يوم القيامة.[٢] وما كان له جماعة يدفعون ذلك عنه ولم يدفع هو عن نفسه ما نزل به من الخسف [٣]. ولم يقتصر الخسف على قارون بل طال داره وأهل داره وأخذ من كان معه من جلسائه في داره وكانوا جماعة جلوسا معه وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى. [٤] الذي جاءهم بالبينات الواضحات من الآيات كما جاء فرعون وهامان فاستكبروا في الأرض مثل قارون وعن التصديق بالبينات من الآيات وعن إتباع موسى صلوات الله عليه وما كانوا ليفوتون على الله بل كان سبحانه قادرا عليهم.[٥] فأخذ الله جميع هذه الأمم فمنهم من أرسل عليه حاصبا وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود ومنهم من أخذته الصيحة وهم ثمود وقوم شعيب ومنهم من

(١)يتجلجل: (يتحرك وينزل مضطربًا)، شرح النووي على صحيح مسلم ٦٤/١٤، ويقول ابن منظور في لسان العرب ١٢٢/١١: (يتجلجل يتحرك فيها أي يغوص في الأرض حين خسف به، والجلجلة: الحركة مع الصوت).

(٢)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ٢٠ ص: ١١٦-١١٧ ، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج: ١٣ ص: ٣١٧ ، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج ٦ / ص ٢٧٨ ، وفتح القدير/ الشوكاني ج ٥ / ص ٤٢٣.

(٣)فتح القدير/الشوكاني ج ٥ / ص ٤٢٣.

(٤)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١١٦ ، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج: ١٣ ص: ٣١٧.

(٥)جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١٥٠.

خسف به الأرض يعني بذلك قارون ومنهم من أغرق وهم قوم نوح وفرعون وقومه.[1] قال تعالى وهو الدليل الثاني:[وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٤٠)](العنكبوت:٣٩-٤٠).

المطلب الثاني: عذاب الرجل المختال بنفسه بالخسف:

ما بعث الله – عز وجل- من نبي إلا أمر بإخلاص العبادة لله وحث على الأخلاق الحسنة ودعا إليها ومنها التواضع.

فقد أخبرنا المصطفى – ﷺ – أن الله خسف برجل كان مختالا بنفسه فقال: (بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)[2] وفي رواية (إن رجلاً ممن كان قبلكم يتبختر في حلة[3]) [4] وفي رواية أخرى (بينما رجل يتبختر يمشي في برديه قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) [5]وعاقبة التبختر والخيلاء والإعجاب بالنفس هي الهلاك لا محالة والاختيال هو التكبر في المشي والمختال تخيل فضليته من نفسه على غيره كما قال قارون:[قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي...] (القصص:٧٨). مكان جزاء المختال الذي اختال متكبرًا في مشيه على غيره من جنس عمله فأمر الله الأرض فأخذ من الأسفل فابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها

---

(١)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٢٠ ص: ١٥٠.
(٢)أخرجه: البخاري ١٦٨٥/٣.
(٣) (الحلة ثوبان... سميا بذلك لأنه يحل كل واحد منهما على الأخر قال الخليل ولا يقال حلة لثوب واحد) مشارق الأنوار/ القاضي عياض ج١/ص١٩٦.
(٤)أخرجه: مسلم ١٦٥٤/٣.
(٥)أخرجه: مسلم ١٦٥٤/٣.

إلى يوم القيامة وهذا تحذير عن الخيلاء وترهيب من التكبر [(١)] فعلى العبد أن ينسب الفضل إلى الله وينصرف عن العُجْب بنفسه ويتبرى من الحول والقوة إلا بالله فبذلك يدفع الهلاك عن نفسه وما أعطاه الله من نعم فينصرف عنه الهم والغم قال ﷺ: (لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم)[(٢)] وقال مالك: (ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا) [(٣)] أي ما شاء الله لا قوة إلا بالله قال تعالى:[وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ(٣٩)] (الكهف:٣٩). وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله:(ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت). [(٤)]

المبحث الثالث: العذاب بالإمطار بالأحجار.

وفيه: مطلبان: ومعنى المطر في اللغة:

قال الفراهيدي معرفا المطر:(هو: الماء المنسكب من السحاب... وأمطرهم الله مطرا أو عذابا ورجل مستمطر طالب خير من إنسان ومكان مستمطر قد احتاج

---

(١)انظر: فتح الباري/ابن حجر ٢٦١/١٠، وفيض القدير/ المناوي ١٦٢/٧.

(٢)أخرجه: الحاكم ٧٢٧/١، وقال: (هذا حديث صحيح ولم يخرجاه)، والطبراني في الأوسط ١٨٧/٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨/١٠، وقال: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه بشر ابن رافع الحارثي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٣)الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ٤٠٦/١٠، وروح المعاني/ الألوسي ٢٨٠/١٥.

(٤)أخرجه: الطبراني في الأوسط ١٢٦/٦، والصغير ٣٥٢/١، وقال: (لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به عمر ابن يونس)، وأورده: البيهقي في الشعب ٩٠/٤ و ١٢٤، والبغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ٤٢٩/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٠/١٠: وقال: (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه يونس بن تميم وهو ضعيف) ثم قال: (وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: من أنعم الله عليه بنعمة فأراد بقاءها فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله..) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالرحمن بن خالد بن نجيح وهو ضعيف). وابن كثير في التفسير ٨٥/٣، وقال: (قال الحافظ أبو الفتح الأوزدي عيسى ابن عون عن عبدالملك بن بينها عن أنس لا يصح حديثه). وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ٨٦/٥.

إلى المطر وإن لم يمطر) [١]،(والطير تهوي في السماء مطرا يعني مسرعة وجاءت الخيل متمطرة أي مسرعة يسبق بعضها بعضا).[٢]

ومعنى المطر في الاصطلاح:

(المطر:...هو ما ينزل من السحاب الذي هو البخار الصاعد المتكاثف بالبرودة وقد ينزل المطر من السحاب المتكون من انقباض الهواء بالبرد الشديد).[٣]

ثالثاً: الحجارة في اللغة:

الحجران الذهب والفضة ، و حجر القاضي عليه منعه من التصرف في ماله والحُجرة حظيرة الإبل ومنه حُجرة الدار و الحَجَر أيضا حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال والحِجّر أيضا منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى والحجر أيضا الأنثى من الخيل و محِجر العين و الحنجور بالضم الحلقوم. [٤]

رابعاً: سجيل في اللغة:

السجل: الدلو إذا كان فيه ماء قل أو كثر ولا يقال لها وهي فارغة و السجل الصك وقد سجل الحاكم تسجيلا وقوله تعالى(بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ)قالوا هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم. [٥]

---

(١)العين/ الفراهيدي ج: ٧ ص: ٤٢٥.

(٢)العين/ الفراهيدي ج: ٧ ص: ٤٢٦، و انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج٥:ص١٧٨-١٧٩.

(٣)دستور العلماء/القاضي ج٣/ص١٩٦.

(٤)انظر: لسان العرب/ابن منظور ج: ٤ ص: ١٦٥، ومختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ٥٢.

(٥)انظر: لسان العرب/ابن منظور ج١١/ص٣٢٧، ومختار الصحاح/الرازي ج١/ص١٢١.

خامساً: حجارة من سجيل في الاصطلاح:

اختلف في معنى السجيل على وجوه **الأول:** أنه لفظ أعجمي فارسي معرب وأصله سنككل وأنه شيء مركب من الحجر والطين وقيل معناه أنه من ماء وطين قد صلب وتحجر.

الثاني: السجل هو: الدلو العظيم.

الثالث: سجيل أي الشديد من الحجارة.

الرابع: مرسلة عليهم من أسجلته إذا أرسلته.

الخامس: العطية في الإدرار وقيل كان كتب عليها أسامي المعذبين.

السادس: وهو من السجل المدون به فهو الكتاب وتقديره من (مكتوب في الأزل) أي كتب الله أن يعذبهم بها.

والسابع: من سجيل أي من جهنم أبدلت النون لاماً.

والثامن: من السماء الدنيا وتسمى سجيلاً.

والتاسع: السجيل الطين صلب بمرور الزمان لقوله تعالى[حِجَارَةً مِّن طِينٍ] (الذاريات ٣٣).[١] (وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال هي بالفارسية سنك).[٢]

ويقول القرطبي:(حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم لقوله تعالى: [لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ(٣٤)] (الذاريات:٣٣-٣٤).[٣]

(١)انظر: التفسير الكبير/ الرازي ج١٨/ص٣٢ ، وتفسير البيضاوي/البيضاوي ج٥ ص٥٣١، و تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج: ٤ ص:٢٣٦ ، والتسهيل لعلوم التنزيل/الكلبي ج٢/ص١١٠.

(٢)الدر المنثور/ السيوطي ج٤/ص٤٦٤.

(٣)الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج٢٠:ص١٩٨.

المطلب الأول:عذاب قوم لوط بالإمطار بالحجارة:

لم ينزل بقوم من العقوبة كما نزل بقوم لوط ، فلقد أخذتهم الصيحة وقلبت مدينتهم، وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل فهي عقوباتٍ تتابعت عليهم حتى أهلكتهم لعظم جرمهم.

الأدلة:أولاً:قوله تعالى: [وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(٨٤)] (الأعراف:٨٠-٨٤).

لقد أرسل الله لوطا إلى أهل سدوم[١] وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ولم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولاغيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولاتالفه ولايخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم والدليل قوله تعالى:(مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ) فما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء)أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال وهو إسراف منكم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله. فكانوا منغمسين بالشهوات فما استجابوا للوط بل عتوا وهموا بأذيته فأخرج الله تعالى لوطاً سالما وأهلك قومه في أرضهم صاغرين مهانين وفي هذا نصر لنبيه - عليه السلام- ومن آمن معه.[٢]

---

(١)هي: (مدينة من مدائن قوم لوط) معجم البلدان/ ياقوت الحموي ج٣/ص٢٠٠.
(٢)انظر: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج: ٢ ص: ٢٣١.

وكان ممن نجا مع لوط أهله وهم من آمن به لأنه لم يؤمن به أحد من قومه سوى أهل بيته كما قال تعالى [فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ] إلا امرأته فإنها لم تؤمن به بل كانت على دين قومها تمالئهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه ولهذا قال ها هنا (إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)أي الباقين وقيل من الهالكين وقوله (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا)مفسر بقوله (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ(٨٢)مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)(هود٨٢-٨٣).ولهذا قال (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) أي انظر يامحمد كيف كان عاقبة من يجترئ على معاصي الله عز وجل ويكذب رسله.

وقد(سئل ابن عباس ما حد اللواطة قال ينظر إلى أعلى بناء في القرية فيرمى منه منكسا ثم يتبع بالحجارة)[١].لذا ذهب الإمام أبو حنيفة[٢] إلى أن اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط[٣] وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجم سواء كان محصنا أو غير محصن وهو قول المالكية[٤][٥] وأحمد[٦] وأحد قولي الشافعي[٧] [٨] والحجة مارواه الإمام أحمد وأبو داود[٩] والترمذي[١٠].وابن ماجة[١١] قال رسول الله

---

(١)أخرجه:البيهقي في الكبرى ج٨/ص٢٣٢، الصغرى ج٧/ص٢٤٧ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ج٥/ص٤٩٦.

(٢)هو:الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي (ت: ٦٥٠). انظر / تهذيب الاسماء /النووي ٥٠١/٢.

(٣)شرح فتح القدير / كمال الدين محمد السيواسي الحنفي ج٥/ص٢٦٥.

(٤)انظر: الكافي في فقه أهل المدينة/ أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي ج١/ص٥٧٤.

(٥)انظر: مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه/ إسحاق بن منصور التميمي الحنبلي ج٢/ص٢٥١.

(٦)هو: أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني ت (٢٤١هـ). انظر: السير/الذهبي ١٧٧/١١، وحلية الأولياء/الاصبهاني ١٦١/٩.

(٧)هو:الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي، العالم جليل، (ت ٢٠٤هـ). انظر: مناقب الشافعي / البيهقي

(٨)قال الشَّافِعِيُّ في الأم ج٧/ص١٨٣، (أخبرنا رَجُلٌ عن بن أبي ذِئْبٍ عن القاسم بن الوَلِيدِ عن يَزِيدَ... أنَّ عَلِيًّا رضي اللَّهُ تَعَالَى عنه رجم لوطِيًّا وبهذا نَأْخُذُ نَرْجُمُ اللُّوطِيَّ مُحْصَنًا كان أو غير مُحْصَنٍ وَهَذَا قَوْلُ بن عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بن الْمُسَيِّبِ يقول السُّنَّةُ أَنْ يُرْجَمَ اللُّوطِيُّ أَحْصَنَ أو لم يُحْصِنْ).

(٩)هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشر بن شداد السجستاني ، (ت ٢٧٥هـ). انظر كتاب صفة الصفوة / ابن الجوزي ٦٩/٤.

(١٠)هو:محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك ، (ت ٢٧٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣.

(١١)هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ، (ت ٢٧٣هـ).

صلى الله عليه وسلم:(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به).[1]
وقال آخرون[2] هو كالزاني فإن كان محصنا رجم وإن لم يكن محصنا جلد مئة جلدة وهو القول الآخر للشافعي.[3] [4]

ثانياً: قوله تعالى:[وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ(٦٧)قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ(٦٨)وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ(٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ(٧٠)قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ(٧١)لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ(٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ(٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ(٧٦)][5] (الحجر:٦٧-٧٦)يتضح من هذه الآيات الكريمة أن قوم عا د كانوا قد استبشروا بأضياف رسول الله لوط طمعا في ركوب الفاحشة وقد نهاهم لوط عن ذلك [6]

---

(١)أخرجه: أبو داود ج٤/ص١٥٨، والترمذي ج٤/ص٥٧، وابن ماجه ج٢/ص٨٥٦، وأحمد: ج١/ص٣٠٠ ، والحاكم ج٤/ص٣٩٥، وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢)انظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار/ أبي عمر يوسف عبد البر: ج٧/ص٤٩٣، قال (روى بن ابي ذئب ومعمر عنه في اللوطي انه كالزاني يجلد ان كان بكرا ويرجم ان كان ثيبا محصنا ذكر ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثني معن بن ابي عيسى عن بن ابي ذئب عن الزهري قال يرجم اللوطي اذا كان محصنا واذا كان بكرا جلد مائة ويغلظ عليه في الحبس والنفي)، و الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل/ عبد الله بن قدامة المقدسي ج٤/ص١٩٨، وقال المقدسي: (ولو تلوط بغلام لزمه الحد كذلك وفي حده روايتان إحداهما يجب عليه حد الزنى يرجم إن كان ثيبا ويجلد إن كان بكرا).

(٣)انظر: الأم/ محمد بن إدريس الشافعي ج٧/ص١٨٣، فقد (رَجَعَ الشَّافِعِيُّ فقال لَا يُرْجَمُ إلَّا أَنْ يَكُونَ قد أَحْصَنَ وَعِكْرِمَةُ يَرْوِيهِ عن بن عَبَّاسٍ عن النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم... يقول ليس على اللُّوطِيِّ حَدٌّ وَلَوْ تَلَوَّطَ وهو مُحْرِمٌ لم يَفْسُدْ إحْرَامُهُ وَلَا غُسْلَ عليه ما لم يُمْنِ وقد خَالَفَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فقال اللُّوطِيُّ مِثْلُ الزَّانِي يُرْجَمُ إنْ أَحْصَنَ وَيُجْلَدُ إنْ لم يُحْصِنْ).

(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي المالكي ج: ٢ ص: ٢٣٢، وتفسير القرآن الكريم/ابن كثير الشافعي ج:٢ ص:٤٥٦.

(٥)ويعني قرية لوط فهي لم تعمر حتى الآن للعبرة وهي طريق قريش إذا سافروا إلى الشام انظر زاد المسير/ابن الجوزي٤/٤١٠ ويقال أن مكانهم البحر الميت الذي لا يعيش فيه أي كائن لملوحته وهذه الزيادة لتطهير البقعة من الأمراض التي تحصل من الشذوذ.

(٦)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج: ٤ ص: ٤٠٧، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج: ٢ ص: ٤٥٦.

ولكنهم كانوا في سكرة عن الحق [١] وقد تمادوا وترددوا في ضلالهم[٢] فأخذتهم صيحة العذاب مصادفين لطلوع الشمس.

وفي معنى المتوسمين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المتفرسون فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[٣] ثم قرأ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) قال المتفرسين وبهذا قال مجاهد وابن قتيبة ، قال ابن قتيبة:(يقال توسمت في فلان الخير أي تبينته). [٤]

والثاني: المعتبرون قاله قتادة.

والثالث: الناظرون قاله الضحاك.

والرابع: المتفكرون قاله ابن زيد والفراء

ثالثا: قوله تعالى:[قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)](هود: ٨١-٨٣).

لقد ضيق أهل المدينة على لوط وأضيافه فأغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رأت

---

(١)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج: ٤ ص: ٤٠٨.
(٢)انظر: جامع البيان/الطبري ١٤ ص: ٤٤٠.
(٣)أخرجه: الترمذي ج٥/ص٢٩٨، وقال:(هذا حَديثٌ غَريبٌ إنما نَعْرِفُهُ من هذا الوَجْهِ وقد رُوِيَ عن بَعْضِ أهْلِ العِلمِ وتفسير هذه الآيَةِ(إنَّ في ذلك لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال لِلْمُتَفَرِّسِينَ) ، والطبراني في الكبير ج٨/ص١٠٢، والأوسط ج٨/ص٢٣، وقال:(لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن قيس إلا محمد بن كثير ومحمد بن أبي مروان ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد) ، وعبد الرزاق في مصنفه ج١٠/ص٤٥١ ، وأورده: الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠/ص٢٦٨، وقال:(رواه الطبراني وإسناده حسن) ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة و الموضوعة ٤ / ٢٩٩:(ضعيف).
(٤)انظر: جامع البيان/الطبري ج:١٤ ص٤٥ ، وزاد المسير/ابن الجوزي ج: ٤ ص: ٤٠٩.

الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط إن ركنك لشديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فسأل لوط الملائكة متى موعد إهلاكهم فقالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن فقالوا(أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)ثم قالوا فأسر يا لوط بأهلك (وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ) أي لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فإنها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها[1] فقلبت المدينة فجعلت عاليها سافلها [2]ثم أمطر عليها حجارة من سجيل، والسجيل: الطين دليله قوله عز وجل (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) ومعنى قوله تعالى(مَّنضُودٍ) قال ابن عباس رضي الله عنهما متتابع يتبع بعضهما بعضا وهذه الحجارة كانت(مُّسَوَّمَةً) أي: معلمة.[3]، أو مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه.[4]

رابعاً: قوله تعالى:[قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ(١٧٢)

---

(١)انظر: معالم التنزيل/ البغوي ج: ٢ ص: ٣٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج:٢ ص:٤٥٥.

(٢)يقول ابن منظور في لسان العرب ج: ٦ ص: ٣١٣عند قوله تعالى: (فجعلنا عاليها سافلها) أراد أن حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها فصارت في قرارها وانقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها ومعنى الخاوية والمنقعرة واحد يدلك على ذلك قول الله عز وجل في قصة قوم عاد (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) (الحاقة:٧٩).

(٣)انظر: جامع البيان/الطبري ج٢٧:ص١٠، ومعالم التنزيل/ البغوي ج: ٢ ص: ٣٩٧.

(٤)انظر: تفسير البيضاوي/ البيضاوي ج٥:ص٥٣١، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج٤:ص٢٣٧.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ(١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ(١٧٤)] (الشعراء١٦٧- ١٧٤).

عندما هدد قوم لوط نبيهم بإخراجه لم يخش منهم البطش بل قال إنه لعملهم من المبغضين ودعا ربه أن ينجيه وأهله من عقوبة عملهم لما أيس من إيمانهم لئلا يصيبه من عذابهم فأهلكهم الله بالخسف والحصب بالحجارة فقد جعل عالي المدينة سافلها ثم أتبعها الله بالحجارة، ولم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط وابنتاه.[1]

خامساً: قوله تعالى:[وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٥٦) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ(٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ(٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(٥٩)](النمل: ٥٦ – ٥٩).

نصح لوط قومه ونهاهم عن إتيان الفاحشة ومع علمهم أنها فاحشة قبيحة فقد عابوا لوطاً ومن آمن معه لأنهم يتطهرون من أعمال السوء فنجاه الله وأهل بيته إلا امرأته كانت مع الهالكين، فقد أمطر الله عليهم مطراً من الحجارة فبئس (مَطَرُ الْمُنذَرِينَ).[2]

سادساً: قوله تعالى:[قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ(٣٢)لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ(٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ(٣٤)،فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ(٣٦)وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ(٣٧)] (الذاريات٣٥ – ٣٧).

---

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ١٣ ص: ١٣٣.

(٢)انظر:جامع البيان / الطبري ج: ٢٠ ص: ١، ومعالم التنزيل/ البغوي ج: ٣ ص: ٤٢٤.

تبين هذه الآيات نوع الحجارة التي أمطرت على قوم لوط وأنها من الطين وقد كانت جزاء على إسرافهم بالضلالة وانغماسهم بالشهوات وكذا عقوبة على شركهم.[١]

سابعا: قوله تعالى:[وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا] (الفرقان:٤٠).

لقد أمطر الله مطر السوء على: سدوم قرية قوم لوط ومطر السوء هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها وقد جعلهم الله عظة وعبرة لكل عاصي حتى يتوب ويرجع إلى الله.[٢]

المطلب الثاني: عذاب أصحاب الفيل بالإمطار بالحجارة:

إن ما حصل لأصحاب الفيل يعد من الآيات والدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولما ولد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة).[٣]

وأصحاب الفيل قوم توجهوا من اليمن إلى مكة وكثير منهم من الحبشة وملكهم أبرهة وهو حبشي وكانوا يريدون هدم الكعبة وتخريبها ليصرفوا الناس عنها ولم يرعوا حرمة البلد الحرام ولا الكعبة التي بناها إبراهيم بمعاونة ابنه إسماعيل عليهما السلام فنزل بأبرهة وقومه العذاب الأليم وسلم الله تعالى الكعبة من شرهم.

قال تعالى:[وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(٣)تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ(٤)] (الفيل:٣ - ٤).

---

(١)انظر: زاد المسير / ابن الجوزي ج٨:ص٣٨ ، وانظر: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج: ٤ ص: ٥٥١.

(٢)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١٩ ص: ١٦.

(٣)الجواب الصحيح/ابن تيمية ج٦/ص٤١٠ - ٤١١.

لقد أرسل الله الطير على جيش أبرهة وقومه (بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ) وقد مر ذكر معناها ، وكانت الحجارة دون الحمصة وفوق العدسة وقد وصف عكرمة نوع الحجارة والعذاب فقال:(كانت ترميهم بحجارة معها قال فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدري)، وقال أيضا:(كانت مع كل طير ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره فجعلت ترميهم بها...ولا يصيب شيئا إلا هشمه) عقوبة من الله وعذاباً حل بأصحاب الفيل.(١)

المبحث الرابع: العذاب بالرجفة ، وفيه: ثلاث مطالب:

ومعنى الرجفة في اللغة:

رجف الشيء يرجف رجفا أي خفق واضطرب اضطرابا شديدا وكرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة إذا حركتها الريح وكما ترجف الأسنان إذا نفضت أصولها ونحوه ، ورجفت الأرض تزلزلت واضطربت ورجف القوم تهيأوا للحرب وأرجفوا خاضوا في الأخبار السيئة من الفتنة ونحوها والرجفة كل عذاب أنزل فأخذ قوما فهو رجفة وصيحة وصاعقة والرعد يرجف رجفا وهو: تردد هدته في السماء، ورجف القلب: اضطرب وجزع.(٢) وأرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة أو الفتنة وذكر الفتن قال الله تعالى:[...وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ...] (الأحزاب:٦٠). وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس.(٣)

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ٣٠ ص: ٢٩٨، وزاد المسير / ابن الجوزي ج٩:ص٢٣٦، ومعالم التنزيل/ البغوي ج٤:ص٥٢٩، و فتح القدير / الشوكاني ج٥:ص٤٩٦.

(٢)انظر: العين/ الفراهيدي ج٦/ص١٠٩، ولسان العرب/ ا بن منظور ج٩/ص١١٢.

(٣)انظر: لسان العرب/ ا بن منظور ج٩/ص١١٣-١١٤.

ومعنى الرجفة في الاصطلاح:

الإرجاف إيقاع الرجفة إما بالفعل وإما بالقول قال تعالى:[...وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ...](الأحزاب:٦٠). ويقال الأراجيف ملاقيح الفتن.(١)

(رجف...أصل ارجف الحركة أو الاضطراب). (٢)

المطلب الأول: عذاب ثمود(٣) بالرجفة:

وقد ذكر الإمام الطبري أن الرجفة هي الصيحة وأورد العلماء الذين قالوا بنحو قوله منهم مجاهد والسدي. (٤)

أرسل الله – عز وجل – رسوله صالحاً إلى قومه ثمود لدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

الأدلـــــــــــــــــــــــــــة:

قال تعالى:[وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦)

---

(١)انظر: المفردات في غريب القرآن/ أبو القاسم ج١/ص١٨٩.

(٢)النهاية/ابن الأثير ج٢:ص٢٠٣.

(٣)(الحجر اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام قال الإصطخري الحجر قرية صغيرة قليلة السكان... لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)) معجم البلدان/ ياقوت الحموي ج٢/ص٢٢١.

(٤)انظر: جامع البيان / الطبري ج٨:ص٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج٧:ص٢٥١.

فعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)] (الأعراف:٧٣-٧٩).

يبين الله – تعالى – أنه أرسل رسوله صالحاً لثمود ليدعوهم إلى عبادته وحده وينهاهم عن الإفساد في الأرض، وأرسل معه آية عظيمة تؤيد صدق ما جاء به وهي الناقة ولكنهم كانوا قوم سوء مفسدين عصوا رسول الله فكذبوه واستكبروا وعقروا الناقة وقد توعدهم صالح بالعذاب من الله إن مسوها بسوء. فأخذتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة فأصبحوا أجساما ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم لاصقين في الأرض.[1] فكان هذا الهلاك للكافرين والنصر المؤزر للمؤمنين ونبيهم دليل على صدق نبوة نبي الله صالح.

المطلب الثاني: عذاب أهل مدين بالرجفة:

بعث الله – عز وجل – رسوله شعيباً إلى أهل مدين ليدعوهم إلى عبادة الله وحده ويأمر بالعدل الذي قامت عليه السماوات والأرض وذكرهم بنعم الله العديدة عليهم لكنهم عتوا عن أمر الله وتوعدوا شعيباً وقومه بالإخراج. واستمروا بغيهم وظلمهم فدعا عليهم شعيب فقال:[... رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ] (الأعراف:٨٩). فأخذتهم الرجفة فأهلكهم الله بها.[2]

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج٨:ص٢٢٤-٢٣٤، وزاد المسير / ابن الجوزي ج٣: ص٢٢٤- ٢٢٧، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج٧:ص٢٣٨ -٢٤٢.

(٢)انظر: زاد المسير / ابن الجوزي: ج٣: ص ٢٢٨ - ٢٣٣، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي: ج٧: ٢٤٧-٢٥٢.

والسبب هو شركهم وعدم عدلهم وبخسهم حقوق الناس. فأصبحوا هلكى ونجى الله تعالى شعيباً والذين أمنوا معه ونصرهم على من كفر واستكبر وهم بإخراجه.(١)

الأدلـــــــــة:

أولاً: قوله تعالى:[وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ(٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ(٩٣)](الأعراف: ٨٥-٩٣).

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري: ج٨: ٢٣٧ - ٢٤٠، و ج٩: ص ١-٦ ، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي: ج٧: ص ٢٥١.

ثانياً: قوله تعالى:[وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٣٧)](العنكبوت: ٣٦-٣٧).

قال شعيب لقومه يا قوم اعبدوا الله وحده وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالعبادةو لا تكفروا فإنه أصل كل فساد و صدقوا باليوم الآخر ولا تكثروا في الأرض معصية الله فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا في دارهم ميتين.[١]

المطلب الثالث: عذاب بني إسرائيل بالرجفة:

لقد نزلت الرجفة ببني إسرائيل بعد عبادتهم العجل عقوبة من الله لردعهم عن الشرك وفي هذا دلالة وآية عظيمة على صدق موسى عليه

السلام وعلى أنه رسول حق من عند الله تعالى.

الأدلـــــــــــــــــة:

قال تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ(١٥٢)وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ(١٥٣)وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ(١٥٤)وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ(١٥٥)] (الأعراف: ١٥٢-١٥٥).

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٠:ص١٤٩، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج١٣:ص٣٤٣.

لقد عذب الله عز وجل بني إسرائيل بالرجفة وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال:

-**أحدها:** أنه ادعاؤهم على موسى قتل هارون قاله علي بن أبي طالب ﷺ.

-**الثاني:** اعتداؤهم في الدعاء وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما.

-**الثالث:** أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا ،نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

-**الرابع:** أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى فلما سمعوه قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ،قاله السدي وابن إسحاق وهذا هو الراجح. (١)

المبحث الخامس: العذاب بالصاعقة ، وفيه مطلبان.

ومعنى الصاعقة في اللغة:

صعق الإنسان صعقا أي:غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة وصعق مات وأصابته صاعقة أي: صاعقة الموت وقال آخرون كل عذاب مهلك وقيل الصاعقة العذاب والصعقة الغشية والصعق مثل الغشي يأخذ الإنسان من الحر وغيره والصاعقة الصوت الشديد من الرعدة يسقط معها قطعة من نار ويقال إنها المخراق ويقال للبرق إذا أحرق إنسانا أصابته صاعقة و الصاعقة صيحة العذاب والصعقة الصوت الذي يكون عن الصاعقة والصاعقة النار التي يرسلها الله مع الرعد الشديد، وقوله عز وجل(فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)الصاعقة ما يصعقون منه أي يموتون والصاعقة و الصعقة الصيحة

---

(١)انظر: جامع البيان/ الطبري ج٩:ص٧٢-٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج٧:ص٢٩٤-٢٩٦ ، وزاد المسير/ ابن الجوزي ج٣:ص٢٦٧- ٢٦٩.

يغشى منها من يسمعها أو يموت وقال عز وجل:[وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء](الرعد: ١٣). يعني أصوات الرعد ويقال لها الصواقع أيضا.(١)

و معنى الصاعقة في الاصطلاح:

(الصاعقة كل عذاب مهلك فهو صاعقة ويقال كل هائل مميت أو مزيل للعقل والفهم غالبا).(٢)

المطلب الأول: عذاب ثمود بالصاعقة:

الأدلـــــــــــــــــــة:

قوله تعالى:[وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ(٤٣)فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤)] (الذاريات: ٤٣-٤٤).

انذر الله – عز وجل – ثمود لما عقروا الناقة ثلاثة أيام ثم بعدها يحل عليهم العذاب و بعد مضي الأيام الثلاثة أخذهم العذاب و هي الصاعقة وهم يرون ذلك عيانا فما استطاعوا قياما بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على النهوض من تلك الصرعة وما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله. (٣) فكان سبب عذاب قوم صالح أنهم عتوا وتكبروا وعلوا عن أمرربهم استكبارا عن طاعة الله وعقروا الناقة التي نهوا عن ا لتعرض لها. (٤)

وقوله تعالى:[وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (فصلت: ١٧).

---

(١)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج: ١٠ ص: ١٩٨، ومختار الصحاح / الرازي ج: ١ ص: ١٥٢.

(٢)كتاب الكليات/أيوب بن موسى الحسيني ج١/ص٥٤٣، و ٥٦١ – ٥٦٢.

(٣)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٧:ص٦، وزاد المسير / ابن الجوزي ج٨:ص٣٩- ٤٠، ومعالم التنزيل / البغوي ج: ٤ ص: ٢٣٤.

(٤)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٧:ص٥-٦ ، و زاد المسير / ابن الجوزي ج٨:ص٣٩.

لقد دل الله -ﷻ- قوم صالح إلى الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل[1] لكنهم اختاروا الكفر على الإيمان (فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ)أي مهلكة العذاب الهون أي ذي الهوان أي الهوان وهو الذي يهينهم ويخزيهم[2] بسبب تكذيبهم وجحودهم ونجى الله الذين آمنوا مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام من بين أظهرهم فلم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى بإيمانهم وتقواهم الله عز وجل ونصرهم وهذا آية كبرى على نبوة صالح-عليه السلام.[3]

المطلب الثاني: عذاب بني إسرائيل بالصاعقة:

عذب الله بني إسرائيل بالصاعقة لعصيانهم والدليل قوله تعالى:[وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ](البقرة: ٥٥).

نزلت الصاعقة ببني إسرائيل لأنهم قالوا يا موسى لن نصدقك ولن نقر بما جئتنا به حتى نرى الله جهرة عيانا برفع الساتر بيننا وبينه وكشف الغطاء دوننا ودونه حتى ننظر إليه بأبصارنا[4] فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا ومعنى قوله:(وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) أي وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم عيانا جهارا.[5]

المبحث السادس:العذاب بالصيحة ، وفيه خمسة مطالب:

و معنى الصيحة: في اللغة:

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري: ج٢٤ ص١٠٤، وتفسير البيضاوي/ البيضاوي ج٥:ص١١١.

(٢)معالم التنزيل/ البغوي ج٤:ص١١١، وانظر: جامع البيان / الطبري: ج٢٤ ص١٠٤-١٠٦، وزاد المسير/ابن الجوزي ج:٧ ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣)تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج: ٤ ص: ٩٦.

(٤)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١ ص: ٢٨٩.

(٥)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١ ص: ٢٩٠.

الصياح: صوت كل شيء إذا اشتد ، وصاح يصيح صيحة: صوت بأقصى طاقته يكون ذلك في الناس وغيرهم والمصايحة والتصايح أن يصيح القوم بعضهم ببعض والصيحة العذاب والهلاك وأصله من الأول قال الله عز وجل:[فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ](المؤمنون:٤١). يعني به العذاب والصيحة الغارة إذا فوجيء الحي بها والصائحة صيحة المناحة.[١]

و معنى الصيحة في الاصطلاح:

المطلب الأول: عذاب ثمود بالصيحة:

لقد أهلك الله تعالى قوم صالح لكفرهم وعتوهم وعاقبهم وعذبهم بثلاثة أنواع من العذاب هي الصيحة والصاعقة[٢]، والرجفة[٣] لشدة ما اقترفوه من الإثم ولم يرد في كتب التفاسير أي نوع من العذاب وقع عليهم أولا وقد وردت أدلة كثيرة تدل على هلاكهم بالصيحة وهذه الأدلة هي: قوله تعالى:[فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ(٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧)] (هود: ٦٦-٦٧). وعندما وقع عذاب الله على الكافرين نجى الله صالحاً ومن آمن به بفضله من العذاب ومن خزي هذا اليوم وفضيحته وذلته وأهلك هؤلاء الكفار في اليوم الرابع بالصيحة فماتوا. [٤]

---

(١)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج: ٢ ص: ٥٢٢ ، ومختار الصحاح/ الرازي ج: ١ ص: ١٥٧، ومشارق الأنوار/القاضي عياض ج٢: ص٥٢، والمغرب/ابن سعيد المغربي ج١ ص٤٨٨، ومقاييس اللغة/ابن فارس ج٣ ص ٣٢٤.

(٢)(قال أبو إسحاق الصاعقة ما يصعقون منه أي يموتون) لسان العرب/ابن منظور ج١٠:ص١٩٨. وانظر المبحث: الخامس.

(٣)(الرجفة: الزلزلة) لسان العرب/ابن منظور ج٩:ص١١٢:١١٣، وانظر المبحث: الرابع.

(٤)انظر: زاد المسير / ابن الجوزي ج٤:ص١٢٦، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٩ ص: ٦١.

قوله تعالى:[وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ(٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ(٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٨٤)] (الحجر: ٨٠-٨٤).

لقد بين الله سبحانه أن سبب عذاب ثمود وهم قوم صالح إعراضهم عن الحق وتكذيبهم لرسله فأهلكهم جميعاً.(والحجر مدينة ثمود)[١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:وهو بالحجر:(**هولاء قوم صالح أهلكهم الله إلا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله**).[٢] [٣]

وقد أهلكهم الله بعد بيان حجج الله لهم فأعرضوا عنها وكانوا مغترين بقوتهم فقد كانت الجبال المنحوتة بيوتاً لهم و مقراً لسكنهم فكانوا آمنين من أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع وهو اليوم الذي وعدوا به بالعذاب وقيل لهم:[تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ] (هود:٦٥). وما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك وما ردت عنهم بيوتهم الفارهة العذاب.[٤]

وقوله تعالى:[إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ(٢٧)وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ(٢٨)فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ(٢٩)فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٠)إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١)] (القمر: ٢٧-٣١).

يظهر من هذه الآيات أن سبب عقوبة ثمود هو الكفر والاستكبار ومن ذلك عقرهم الناقة التي أرسلها الله تعالى. اختبارا لهم فكانت ناقة عظيمة عشراء من

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١٤ ص: ٤٩.
(٢)أخرجه: أحمد ج٣/ص٢٩٦، والحاكم ج٢/ص٣٥١ ، وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، والطبراني في الأوسط ج٩/ص٣٧.
(٣)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١٤ ص: ٥٠.
(٤)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١٤ ص: ٥٠.

صخرة صماء طبق عندما سألوا صالحاً - عليه السلام - لتكون حجة الله عليهم في تصديقه فيما جاءهم فكان الشرب مقسما بينهم يوم لهم ويوم للناقة فكانوا إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن فعقرها أشقى قومه قال تعالى: [إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا](سورة الشمس: ١٢). فكان عقابهم شديداً على كفرهم وتكذيبهم رسول الله فقد أبادهم الله عن آخرهم فلم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات ومعنى المحتضر هو: المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه[١] الريح.[٢] ونجى الله تعالى صالحاً ومن آمن به ونصرهم وفي هذا آية عظمى على صدق ما جاء به صالح-عليه السلام-.

المطلب الثاني: عذاب أهل مدين بالصيحة:

والدليل قوله تعالى:[وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ](هود:٩٤-٩٥).

بعث الله سبحانه شعيبا إلى قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور فأبوا فنزل قضاؤه سبحانه في قوم شعيب بعذابهم ونجى الله برحمتة وفضله شعيبا والذين آمنوا به وصدقوه على ماجاءهم به من عند ربهم.

يقول الطبري:(وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء أخمدتهم فأهلكتهم بكفرهم بربهم وقيل إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم وصرعى بأفنيتهم).[٣]

وكانت عاقبة المكذبين من قوم شعيب ثلاثة أنواع من العذاب هي:

١- الرجفة [٤] ، و٢- الظلة[٥] ، و٣-الصيحة. فقد أخذتهم رجفة في ديارهم حتى خافوا أن تسقط عليهم فخرجوا منها فأصابهم حر شديد فبعث الله الظلة

---

(١)(تسفهت الرياح الشيء إذا استخفته فحركته) لسان العرب/ابن منظور ج١٣:ص٤٩٩.

(٢)انظر:تفسير النسفي/النسفي ج٤:ص١٩٧، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج: ٤ص: ٢٦٦.

(٣)جامع البيان / الطبري ج: ١٢ ص: ١٠٨.

(٤)انظر: المبحث الرابع.

(٥)انظر: المبحث السادس.

فتنادوا هلم إلى الظل فدخلوا جميعا في الظلة فصيح بهم صيحة واحدة فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي:فماتوا كلهم بغتة ،و الجاثم اللازم لمكانه لا يريم[1]،[2] ومعنى قوله تعالى:(كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا) أي: كأن لم يقيموا ولم يكونوا فيها أحياء متصرفين مترددين(أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ) هلاكا لمدين(كَمَا بَعِدَتْ) هلكت (ثَمُودُ).[3]

المطلب الثالث: عذاب قوم لوط بالصيحة:

وكان سبب هلاك قوم لوط هو شركهم وعملهم الفاحشة بالرجال ممن يرد إلى المدينة وقد استبشروا بأضياف لوط طمعا في ركوب الفاحشة بهم فنهاهم لوط عن ذلك فلم ينتهوا فأخذهم العذاب وهم في أوج استبشارهم وسكرتهم وكان وقع العذاب عند طلوع الشمس. [4]

قال تعالى:[فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ(٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ(٦٦) وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ(٧٤)](الحجر:٦٥-٧٤).

يظهر من الآيات أن الله بعث ثلاثة أنواع من العذاب على قوم لوط وهي أولاً: قلب مدينتهم قال تعالى[فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا](الحجر: ٧٤). وهذا كان خاصا

---

(١)(إذا برح يقال ما يريم يفعل ذلك أي ما يبرح...وريم بالمكان أقام به) لسان العرب/ابن منظور ج١٢:ص٢٥٩.

(٢)انظر: زاد المسير / ابن الجوزي ج٤:ص١٥٤، وتفسير النسفي/ النسفي ج٢:ص١٧٠.

(٣)انظر: معالم التنزيل/ البغوي ج: ٢ ص: ٤٠٠، وزاد المسير / ابن الجوزي ج٤:ص١٥٤، وتفسير النسفي/ النسفي ج٢:ص١٧٠.

(٤)انظر: زاد المسير / ابن الجوزي ج: ٤ ص: ٤٠٧-٤٠٩

بقوم لوط لفسقهم. (قال جندب قال حذيفة لما أرسلت الرسل إلى قوم لوط ليهلكوهم قيل لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث مرار... وقال ملك فأهوى بجناحه هكذا يعني شبه الضرب فما غشيه أحد منهم تلك الليلة إلا عمي قال فباتوا بشر ليلة عميانا ينتظرون العذاب قال وسار بأهله حتى قال استأذن جبريل في هلكتهم فأذن له فاحتمل الأرض التي كانوا عليها قال فأهوى بها حتى سمع أهل سماء الدنيا صغاء كلابهم قال ثم قلبها بهم قال فسمعت امرأته يعني لوط عليه السلام الوجبة[1] وهي معه فالتفتت فأصابها العذاب قال وتتبعت سفارهم الحجارة).[2] ثانياً: أصابتهم الصيحة قال تعالى:(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ)(الحجر:٧٣). ثالثاً: رموا بالحجارة قال تعالى:[وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ](هود:٨٢). ونجى الله لوطا ومن آمن معه بفضله[3] قال تعالى:(فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ (٣٥) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ المُؤْمِنِينَ(٣٦) (الذاريات:٣٥-٣٦)). وفي هذا دلالة على صدقه عليه السلام.

المطلب الرابع: عذاب عاد بالصيحة:

قال تعالى:[ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ(٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَن اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ(٣٢) وَقَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ(٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ(٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ(٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ(٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ

---

(١)(الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهدة) لسان العرب/ابن منظور ج١:ص٧٩٤.

(٢)أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه ج٦/ص٣٣١.

(٣)فقد قال تعالى: (فما جدنا فيها غير بيت من المسلمين) (٣٥) فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٦) (الذاريات: ٣٥- ٣٦) وفى هذه دلالة على صدقه.

بِمَبْعُوثِينَ(٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ(٣٨) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون(٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ(٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ(٤٢)](المؤمنون: ٣١-٤٢).

لقد جمع الله على عاد لما كذبوا رسوله هوداً الصيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة[١] التي تدمر كل شيء بأمر ربها فأهلكهم عن بكرة أبيهم بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله.

يقول ابن كثير:(يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنا آخرين قيل المراد بهم عاد فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم وقيل المراد بهؤلاء ثمود لقوله(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ)وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشرا مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجثماني وقالوا((أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) أي بعد بعد ذلك(إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا) أي فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد وما نحن له بمؤمنين(قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون) أي استفتح عليهم الرسول واستنصر به عليهم فأجاب دعاءه (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) أي بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ) أي وكانوا يستحقون ذلك من الله لكفرهم وطغيانهم والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي[٢] الباردة تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وقوله فجعلناه غثاء أي صرعى هلكى كغثاء السيل وهو الشيء

---

(١)انظر : المبحث الأول: العذاب بالريح ، المطلب الأول: عذاب عاد بالريح.
(٢)العذاب بالريح أصاب عاد وهم قوم هود ، وكذا أصاب الأحزاب. انظر: المبحث الأول: العذاب بالريح ، المطلب الأول: عذاب عاد بالريح.

الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه)بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)كقوله:[وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ](الزُّخرف:٧٦).)أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم).(١)

وقال ابن الجوزي مبينا معنى الغثاء (قال ابو عبيدة:الغثاء ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به في شيء وقال ابن قتيبة المعنى فجعلناهم هلكى كالغثاء وهو ما علا السيل من الزبد والقمش لأنه يذهب ويتفرق وقال الزجاج الغثاء الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيته مخالطا زبده).(٢)

ونجى الله تعالى عاداً والذين آمنوا معه وفي هذا دلالة واضحة على نبوته. (٣)

المطلب الخامس: عذاب قوم المؤمن بالصيحة:

قال تعالى:[وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ(١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ(١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ(١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ(١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ(٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٢٤) إِنِّي آمَنْتُ

---

(١)تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج: ٣ ص: ٢٤٦، وانظر: زاد المسير/ ابن الجوزي ج٥:ص٤٧٣، وتفسير البيضاوي/ البيضاوي ج٤:ص١٥٥.
(٢)زاد المسير/ ابن الجوزي ج٥:ص٤٧٣.
(٣)انظر المطلب الأول من المبحث الأول.

بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون(٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ(٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ(٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ(٢٩)] (يس: ١٣-٢٩).

لقد غضب الله على هذه القرية لتكذيبها الرسل وقتلهم الرجل المؤمن لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم قال عبد الله بن مسعود:(غضب الله له لاستضعافهم إياه غضبة لم تبق من القوم شيئا فعجل لهم النقمة بما استحلوا منه).[١] وعن قتادة قال:(فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون أهلكهم بصيحة واحدة).[٢]

المبحث السابع: العذاب بالظلة:

و معنى الظلة في اللغة:

الظل: معروف والجمع ظلال وهو ما أظلك من سحاب ونحوه و ظل الليل سواده وهو استعارة لأن الظل في الحقيقة ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ومكان ظليل أي دائم الظل وفلان يعيش في ظل فلان أي في كنفه ، وعذاب يوم الظلة قالوا: غيم تحته سموم ، و أظلتني الشجرة وغيرها و أظلك فلان إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظله ثم قيل أظلك أمر وأظلك شهر كذا أي دنا منك و استظل بالشجرة استذرى بها.[٣]

و معنى الظلة في الاصطلاح:

(كل ما أظلك من سقف بيت أو سحابة أو جناح حائط فهو ظلة).[٤]

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ٢٣ ص: ١-٢.
(٢)جامع البيان / الطبري ج: ٢٣ ص: ٢.
(٣)انظر: العين/ الفراهيدي ج: ٨ ص:١٤٩، ومختار الصحاح/ الرازي ج: ١ ص: ١٧٠.
(٤)كتاب الكليات/أيوب بن موسى الحسيني ج١/ص٥٨٨.

عذاب أهل مدين بالظلة:

عذب الله – عز وجل – أهل مدين قوم شعيب [1] و هم أنفسهم اصحاب الأيكة.[2] كما ذكر ذلك الطبري[3] وهؤلاء القوم ارسل الله إليهم نبيه شعيباً فأمرهم بعبادة الله وحده والإيمان باليوم الآخر وبالوفاء بالكيل وعدم الإفساد في الأرض[4] ، ومما يؤكد ما ذكره الطبري ما جاء في كتاب الله أن شعيبا مرسل لأهل مدين والأيكة ودعا نفس الدعوة وهي العدل مما يدل على أنهما مسميين لشيء واحد وقد عذبهم الله بالظلة لتكذيبهم وعصيانهم لنبي الله شعيب عليه السلام فقد أمرهم بعبادة الله وحده و بالعدل سواء كان الحق لهم أم عليهم ، فلما أبوا بعث الله عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا مما يجدون إلى البرية فأرسل الله عليهم سحابة عظيمة أظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ونادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها بعث الله عليهم نارا فكان ذلك من أعظم العذاب.[5]

والأدلة على أن أهل مدين الذين نزل بهم العذاب هم أصحاب الأيكة وقوم شعيب قوله تعالى:[وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ](العنكبوت: ٣٦).

وقوله تعالى:[وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا

---

(١)(مدين: محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك) معجم البلدان/الحموي: ج٥/ص٧٧.

(٢)(المراد بأصحاب الأيكة أهل مدين... ومدين وتبوك متجاورتان) معجم البلدان/الحموي ج١/ص٢٩١.

(٣)انظر:جامع البيان/ الطبري ج١٩:ص١٠٧، وزاد المسير/ ابن الجوزي ج: ٦ ص: ١٤١.

(٤)انظر: فتح القدير/ الشوكاني ج٤:ص١١٤.

(٥)انظر: زاد المسير/ ابن الجوزي ج: ٦ ص: ١٤٣.

تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(٨٥)] (الأعراف:٨٥).

وقوله تعالى:[كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ(١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٧٨) فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ(١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ(١٨٠) أَوْفُوا الكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ(١٨١) وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ(١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ(١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ(١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ(١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ(١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ(١٩١)] (الشعراء: ١٧٦-١٩١).

لقد بين الله سبحانه في الآيات السابقة أن سبب عذابهم وهو أنه أرسل إليهم رسوله شعيباً يأمرهم بالعدل وينهاهم عن الظلم ويتوعدهم بعذاب من الله إن هم عصوا ذلك فما كان منهم إلا الاستهزاء به وتكذيبه وقالوا اسقط علينا كسفا[(١)] من السماء أي قطعاً منها واستمروا على تكذيبه حتى أخذهم العذاب العظيم الأليم وقد ذكر سبحانه أن في هذا العذاب والهلاك الذي أخذ الكافرين والمكذبين لشعيب عليه السلام آية واضحة لمن كان له سمع أو عقل رشيد[(٢)].

---

(١)(يدل على قطع شيء من شيء) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس ج٥:ص١٧٧.
(٢)انظر: الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج١٣:ص١٣٥-١٣٦، وفتح القدير/ الشوكاني ج٤:ص١١٥.

وللعلماء في نوع الظلة التي وقعت على أهل مدين أقوال:

الأول: أنها صيحة عظيمة وذلك أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام وفتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفسهم فدخلوا بيوتهم فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فيجدوها أشد حرا من الظاهر فلم ينفعهم ظلا ولا ماء فأنضجهم الحر فهربوا إلى البرية فأرسل الله سبحانه سحابة فهربوا إليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني: أنها سحابة من نار أقامها الله فوق رؤوسهم وألهبها حرا ونارا ورجفت بهم الأرض من تحت أقدامهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا وكان هذا اليوم من أعظم أيام الدنيا عذابا فذلك قوله:[فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] (الشعراء:١٨٩).وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الثالث: أنه جبل ، وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام بلياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فإذا تحته أنهار وعيون وشجر وماء بارد فاجتمعوا كلهم تحته فوقع عليهم الجبل قاله الطبري.(١)

المبحث الثامن: العذاب بالمسخ ، وفيه مطلبان:

و معنى المسخ في اللغة:

المسخ هو: تحويل خلق عن صورته إلى صورة أخرى، وكذلك المشوه الخلق والمسيخ من الناس الذي لا ملاحة له ومن اللحم الذي لا طعم له ، ومن الطعام الذي لا ملح فيه ، ومن الفواكه الذي لا طعم له وقد مسخ مساخة.(٢) وقال أبو

---

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج١٣:ص١٣٧.

(٢)انظر: العين/ الفراهيدي ج٤:ص٢٠٦، ومختار الصحاح/ الرازي ج١:ص٢٦٠.

عبيد:(مسخت الناقة أمسخها مسخا إذا هزلتها وأدبرتها من التعب والاستعمال ، وأمسخت العضد قل لحمها).(١)

و معنى المسخ في الاصطلاح:

المسخ هو قلب الخلقة من شيء الى شيء آخر.(٢)

يقول المناوي(٣):(والمسخ أي أصله: تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها).(٤)

قال تعالى: [وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ](يس:٦٧).

فالمسخ هو: تبديل الخلقة وقلبها إلى حجر أو جماد أو بهيمة لذا قال الحسن البصري:(أي لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتأخر وقد يكون المسخ تبديل صورة الإنسان بهيمة ثم تلك البهيمة لا تعقل موضعا تقصده فتتحير فلا تقبل ولا تدبر).(٥)

---

(١)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج٣:ص٥٥.
(٢)انظر: النهاية /ابن الأثير ج٤:ص٣٢٩.
(٣)هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ٨٠ مصنفاً منها الكبير والصغير والتام والناقص، ولد سنة ٩٥٢هـ ، ت: ١٠٣١هـ. انظر: الأعلام/ الزركلي ٧/٧٥.
(٤)فيض القدير/المناوي ج٢/ص٢٥٥.
(٥)انظر: زاد المسير/ ابن الجوزي ج٧:ص٣٢-٣٣ ، والجامع لأحكام القران/ القرطبي ج١٥:ص٥٠.

المطلب الأول: عذاب بني إسرائيل بالمسخ إلى قردة وخنازير:

و معنى الخنزير في اللغة:

قال ابن منظور: (خزر العيون والخزرة انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول... والخزرة وجع في الصلب وخزرت فلانا خزرا نظرت إليه بلحاظ عيني) [١] والخنزير مأخوذ من الخزر والخيزران نبات لين القضبان أملس العيدان[٢] والخنزرة الغلظ والخنزرة الفأس الغليظة ، وخنزر الرجل إذا نظر بمؤخر عينه والخنزير من الوحش العادي معروف من ذلك[٣]،(والخنازير علة معروفة وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة).[٤]

ثانياً: معنى الخنزير في الاصطلاح:

الخنزير: هو من الوحش ، وهو معروف. [٥]

و معنى القرد في اللغة:

القرد بالتحريك ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد وقيل هو نفاية الصوف خاصة ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان وقرد الشعر والصوف بالكسر يقرد قردا فهو قرد و تقرد تجعد وانعقدت أطرافه و تقرد الشعر تجمع والقرد من السحاب المتعقد المتلبد بعضه على بعض شبه بالوبر القرد.[٦] و(القراد بالضم واحد القردان بالكسر و التقريد الخداع وقرد بعيره تقريدا نزع قردانه).[٧]

---

(١)العين/ الفراهيدي ج٤/ص٢٠٦.

(٢)انظر: العين/ الفراهيدي ج٤/ص٢٠٧.

(٣)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج٤/ص٢٦٠.

(٤)لسان العرب/ ابن منظور ج٤/ص٢٦١.

(٥)انظر: تهذيب الأسماء واللغات/ النووي ج٣/ص٩٥، والتبيان في تفسير غريب القرآن/ أبو القاسم ج١ / ص ١٤١.

(٦)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج: ٣ ص: ٣٤٨.

(٧)مختار الصحاح/ الرازي ج: ١ ص: ٢٢١.

و معنى القرد في الاصطلاح:

القرد حيوان معروف وجمعه قرود و قردة بفتح الراء مثل فيل وفيلة والأنثى قردة والجمع قرد مثل قربة وقرب.[١]

وقع عذاب الله بالقرية التي كانت حاضرة البحر وهي من بني إسرائيل لما استحلوا المحرم بالحيلة فمسخهم الله قردة وخنازير[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة ولا أهل قرية منذ أنزل التوراة على وجه الأرض بعذاب من السماء غير أهل القرية التي مسخت قردة ألم تر إلى قوله تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ](القصص: ٤٣).[٣]

الأدلـــــــــــــــــــــة:

أولا: قوله تعالى:[وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ(٦٦)](البقرة: ٦٥-٦٦).

يظهر من هذه الأيات أن الله قد عاقب اليهود بمسخهم إلى قردة لأنهم تجاوزوا ما حده الله لهم بعصيانهم أوامره وركبوا ما نهاهم عنه من العمل والصيد في يوم السبت. [٤] ابتلاء من الله ليعلم من يطيعه منهم ومن يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية وأما صنف فأمسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومرد على المعصية و أبوا إلا الاعتداء إلى ما نهوا

---

(١)انظر: انظر:تفسير البحر المحيط/ أبي حيان الأندلسي، ج١/ص٤٠٣ ومختار الصحاح/ الرازي ج: ١ ص: ٢٢١.

(٢)انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق/شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهـادي الحنبلـي ج٣/ص٤٢٦.

(٣)أخرجه: الحاكم ج٢/ص٤٤٢ ، وقال:(صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٤)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١ ص: ٣٢٩.

عنه.وقد كان من الإبتلاء أنه إذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت إلا خرج فإذا كان يوم الأحد لزمن أسفل البحر فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت القادم فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا إلى البحر فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة ويريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه حتى إذا فشا فيهم أكل السمك قال لهم علماؤهم ويحكم إنما تصطادون السمك يوم السبت وهو لا يحل لكم فقالوا إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه فقال الفقهاء:لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل،فقالوا:لا، وعتوا أن ينتهوا فقال بعض الذين نهوهم لبعض[لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا]فقال بعضهم [مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ](الأعراف: ١٦٤).[١]

وقد كانت هذه القرية التي خالفت أمر الله تطل على البحر قال تعالى: [وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] (الأعراف:١٦٣).الآية،[٢] فمسخهم الله إلى قردة فذلك حين يقول الله تعالى: [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] (المائدة:٧٨). فهم القردة وقوله [كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] ذليلين أي صيروا كذلك والخاسىء المبعد الذليل المطرود كما يخسأ الكلب.[٣]

ثانيا: قوله تعالى:[قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] (المائدة:٦٠).

---

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١ ص: ٣٣١.
(٢)انظر: جامع البيان/ الطبري ج: ١ ص: ٣٣١.
(٣)انظر: جامع البيان/ الطبري ج: ١ ص: ٣٣٢.

يخبر الله بشر جزاء عند الله يوم القيامة لأولئك اليهود الذين لعنهم الله وأبعدهم من رحمته وغضب عليهم غضبا لا يرضى بعده أبدا ومسخهم إلى قردة وخنازير وقد سئل رسول الله صل الله عليه وسلم عن القردة والخنازير الموجودة أهي مما مسخ الله فقال:(إن الله لم يهلك قوما أو قال لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عقبا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك).[١][٢] وقد جعل الله تلك المسخ مثوبة لهم على انهماكهم بالمعاصي بعد وضوح الآيات لهم، والمثوبة عادة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر.[٣]

ثالثا: قوله تعالى:[فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] (الأعراف:١٦٦).

لما تجاوز اليهود في معصية الله وتمردوا على أوامره جعلهم قردة خاسئين ذليلين فدل على أن المعاصي سبب للنقمة وهذا لا خفاء به فقيل لهم ذلك [كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] (البقرة:٦٥). بكلام يسمع فكانوا كذلك.[٤]

وهذا العذاب والمسخ الذي حل بالعاصين دون من اتبع رضوان الله دلالة كبرى على صدق ما جاء به موسى عليه السلام.

---

(١)أخرجه: مسلم ج٤/ص٢٠٥١.

(٢)انظر: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج: ٢ ص: ٧٤.

(٣)انظر: تفسير البيضاوي/ البيضاوي ج٢:ص٣٤٢-٣٤٣ ، وفتح القدير/ الشوكاني ج٢:ص٥٤-٥٥.

(٤)انظر: زاد المسير/ ابن الجوزي ج٣:ص٢٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج: ٧ ص: ٣٠٩.

المطلب الثاني: عذاب بني إسرائيل بالمسخ إلى الفأر والضببة:

و معنى الفأر في اللغة:

(فأر الفأر مهموز جمع فأرة ابن سيده الفأر معروف وجمعه فئران و فئرة والأنثى فأرة وقيل الفأر للذكر والأنثى...(و) هي مهموزة وقد يترك همزها تخفيفا).[1]

و معنى الفأر في الاصطلاح:

(الفأرة بهمزة ساكنة والمراد فأرة البيت وهي الفويسقة). [2]

ثالثاً: معنى الضب في اللغة:

(الضب يكنى أبا حسل...والضبة حديدة يضبب بها الخشب والجميع الضباب والضب الغل في القلب وهو يضب إضبابا من العداوة قال وفي صدره ضب من الغل كامن والتضبب السمن حين يقبل والضيبة سمن ورب يجعل للصبي وتقول ضيبوا لصبيكم وأضب القوم تكلموا وأضبوا إذا سكتوا وزعم أنه من الأضداد وأضب على الشيء أشرف عليه).[3] مما سبق يتبين أن الضب في اللغة يأتي بمعتى غل القلب والغطاء من الحديد للخشب أو الحديد ويأتي بمعنى شيء يصنع من السمن والعسل

رابعاً: معنى الضب في الاصطلاح:

(هو دويبة تشبه الجرذون لكنه أكبر من الجرذون ويكنى أبا حسل... ولا يخرج من جحره في الشتاء). [4]

---

(١)لسان العرب/ابن منظور ج٥/ص٤٢.
(٢)فيض القدير/ المناوي ج٣/ص٤٥٥.
(٣)العين/الفراهيدي ج٧/ص١٤.
(٤)فتح الباري/ابن حجر ج٩/ص٦٦٣.

عذب الله- ﷻ - بني إسرائيل بالمسخ إلى ضببة وفأر بسبب معاصيهم والموبقات التي ارتكبوها من كفر وشرك وقتل للأنبياء.

الأدلة على المسخ إلى ضببة:

أولا: أُتِيَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِضَبٍّ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ منه وقال:(لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ من الْقُرُونِ التي مُسِخَتْ). (١)

ثانيا: قال رَجُلٌ يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بِأَرْضٍ مَضَبَّةٍ فما تَأْمُرُنَا أو فما تُفْتِينَا قال:(ذُكِرَ لي أَنَّ أُمَّةً من بَنِي إِسْرَائِيلَ مُسِخَتْ فلم يَأْمُرْ ولم يَنْهَ).(٢)

ثالثا: وأتى أَعْرَابِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: إني في غَائِطٍ مَضَبَّةٍ(٣) وَإِنَّهُ عَامَّةُ طَعَامِ أَهْلِي قال فلم يُجِبْهُ فَقُلْنَا عَاوِدْهُ فَعَاوَدَهُ فلم يُجِبْهُ ثَلَاثًا ثُمَّ نَادَاهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في الثَّالِثَةِ فقال:(يا أَعْرَابِيُّ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ أو غَضِبَ على سِبْطٍ(٤) من بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ يَدِبُّونَ في الأرض فلا أَدْرِي لَعَلَّ هذا منها فَلَسْتُ آكُلُهَا ولا أَنْهَى عنها) (٥)(قوله:(إنا بأرض مضبة)... ذات ضباب كثيرة قوله:(انى في غائط مضبة) الغائط الأرض المطمئنة). (٦)

---

(١) أخرجه: مسلم ج٣/ص١٥٤٥.

(٢)أخرجه: مسلم ج٣/ص١٥٤٦.

(٣)(الغائط المنخفض من الأرض وبه سمي الحدث لأنهم كانوا يقصدونه بذلك يستترون به والمضبة ذات الضباب الكثيرة) مشارق الأنوار/ القاضي عياض ج٢/ص١٤٠.

(٤)(السبط من اليهود كالقبيلة من العرب وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سمي سبطا ليفرق بين ولد إس معيل وولد إسح ق وجمعه أسباط) لسان العرب/ابن منظور ج٧:ص٣١٠.

(٥)أخرجه: مسلم ج٣/ص١٥٤٦.

(٦)شرح النووي على صحيح مسلم ج١٣/ص١٠٢.

الأدلة المسخ إلى فأرة:

أولاً: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(فُقِدَتْ أُمَّةٌ من بنى إِسْرَائِيلَ لَا يدري ما فَعَلَتْ ولا أُرَاهَا إلا الْفَأْرَ ألا تَرَوْنَهَا إذا وُضِعَ لها أَلْبَانُ الْإِبِلِ لم تَشْرَبْهُ وإذا وُضِعَ لها أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ).[1]

ثانياً: وقال صلى الله عليه وسلم:(الْفَأْرَةُ مَسْخٌ وَآيَةُ ذلك أَنَّهُ يُوضَعُ بين يَدَيْهَا لَبَنُ الْغَنَمِ فَتَشْرَبُهُ وَيُوضَعُ بين يَدَيْهَا لَبَنُ الْإِبِلِ فلا تَذُوقُهُ).[2]

المبحث التاسع: العذاب بالإغراق والطوفان ، وفيه مطلبان:

ومعنى الغرق في اللغة:

يقال لجام مغرق بالفضة أي: محلى والغرنيق: طير الماء الطويل العنق ورجل غريق: رسب في الماء وابتلي بالدين والبلوى تشبيها به ، وقيل الغرق الراسب في الماء و الغريق الميت فيه وقد أغرقه غيره و غرقه فهو مغرق و غريق وفي الحديث: (أعوذ بالله من الحرق و الغرق) [3] ، وفيه (يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاءالغرق) [4] وأغرقت النبل: بلغت به غاية المد في القوس ، والفرس إذا خالط الخيل ثم سبقها يقال اغترقها ومنه قوله تعالى: [وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا](النازعات:١). أيضا الغرق مطلق القتل. [5]

---

(١) أخرجه: مسلم ج٤/ص٢٢٩٤.

(٢)أخرجه: مسلم ج٤/ص٢٢٩٤.

(٣)أخرجه: أبو داود ج٢/ص٩٢، والنسائي في المجتبى ج٨/ص٢٨٣، و وأحمد ج٣/ص١٤٢٧،والحاكم في المستدرك ج١/ص٧١٣، وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، و الطبراني في الكبير ج١٩/ص١٧٠.

(٤)أخرجه: الحاكم ج١/ص٦٨٧، واللفظ له ، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ج٦/ص٢٢، وأورده: أبو نعيم في حلية الأولياء ج١/ص٢٧٤.

(٥)انظر: العين/الفراهيدي ج: ٤ ص: ٣٥٤، ولسان العرب/ابن منظور ج: ١٠ ص: ٢٨٣ ، ومختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ١٩٨.

ومعنى الغرق في الاصطلاح:

يقول العيني:(الغرق...هو الذي غلبه الماء ولم يغرق فإذا غرق فهو غريق).[1]

و معنى الطوفان في اللغة:

الطوف: قرب ينفخ فيها و يشد بعضها ببعض ويحمل عليها الميرة فوق الماء ويعبر عليها ، وطاف به الخيال طوفا ألم به في النوم ، وطائفة من الناس والليل أي قطعة، والطائف بلاد ثقيف ، والطائف العاس بالليل ، والطوافون المماليك، وأطاف بهذا الأمر أي أحاط به فهو مطيف وفي التنزيل العزيز [وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا] (الإنسان:١٥).وقيل طاف به حام حوله وطاف بالبيت دار حوله... قال عز وجل:[...وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ] (الحـــج(٢٩).)... وأطاف به وعليه طرقه ليلا وفي التنزيل العزيز[فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ] (القلم:١٩).... وقال الفراء في قوله عز وجل (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ)... لا يكون الطائف إلا ليلا ولا يكون نهارا ، والوطف كثرة شعر الحاجبين والأشفار وأطاف استدار وجاء من نواحيه.(و الطائفة من الشيء قطعة منه وقوله تعالى:[... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ](النـــــور:٢).وطيف أي مس وفي التنزيل العزيز[...إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ...](الأعراف:٢٠١). [2] و(الطوفان من كل شيء ما كان كثيرا أو عظيما من الأشياء أو الحوادث بحيث يطغى على غيره والفيضان العظيم كالذي أهلك قوم نوح)[3] والطوفان المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شيء و كل

---

(١)عمدة القاري/العيني ج١٤/ص٨٨.

(٢)انظر: العين/الفراهيدي ج: ٧ ص: ٤٥٨ ، ولسان العرب/ابن منظور ج: ٩ ص: ٢٢٥، ومختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ١٦٨ ، وانظر: معجم أسماء الأشياء/أحمـــد بـــن مصطفى الدمشقي ج١/ص٦١.

(٣)المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القـــادر ، محمـــد النجـــار ج٢/ص٥٧١.

مكان ويشبه به الظلام قال الله تعالى:[فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ] (العنكبوت:١٤).(١)

ومعنى الطوفان في الاصطلاح:

الطوفان: السيل العظيم المغرق والموت الذريع أي: الكثير (٢) كأنه مأخوذ من أطاف به إذا عمه بالهلاك.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في معنى قوله تعالى:(فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) قال الموت)(٣).

قال الزجاج:(الطوفان من كل شئ ما كان كثيرا مطيفا بالجماعة كلها فالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة طوفان وكذلك القتل الذريع والموت الجارف طوفان).(٤)

خامساً: المقارنة بين معنى الغرق والطوفان:

مما سبق يتبين أن الغرق هو الشخص الذي عليه الماء فإن مات فهو غريق ، والطوفان هو المطر أو الماء الغالب الذي يغشى كل شيء وكل مكان.

---

(١)انظر: العين/الفراهيدي ج: ٧ ص: ٤٥٨ ، ولسان العرب/ابن منظور ج: ٩ ص: ٢٢٥، ومختار الصحاح/الرازي ج: ١ ص: ١٦٨، ومعجم أسماء الأشياء/أحمد بن مصطفى الدمشقي ج١/ص٦١.

(٢)انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن/أبو القاسم ج١/ص٢٠٩، وفتح الباري/ابن حجر ج٦/ ص٤٣١، و ج٨/ص٢٩٩ - ٣٠٠.

(٣)أورده: المناوي في فيض القدير ج٤/ص٢٩٣،وفي التيسير بشرح الجامع الصغير ج٢/ص١٢٣، وقال: ((الطوفان الموت) قاله لما سأل عن تفسير قوله تعالى(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) وكانوا قبل ذلك يأتي عليهم الحُقُب بضمتين لا يموت منهم أحد) ، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٢/ص٤ ، وقال: (أخرجه:ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عائشة) ، وابن حجر في فتح الباري ج٨/ص٣٠٠ ، وقال:(عند بن مردويه بإسنادين ضعيفين عن عائشة مرفوعا).

(٤)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج: ٦ ص ٢٦٣.

المطلب الأول: عذاب قوم نوح بالغرق:

فقد عاقب الله عز وجل من كذب رسوله وطغى وعاث في الأرض فسادا فطال هذا العقاب قوم نوح عليه السلام الذي أرسله الله عز وجل إلى قومه لإخراجهم من الظلمات إلى النور فما آمن به إلا قليل منهم مع طول مكثه عليه السلام فيهم بل كذبوه وتمادوا في ظلمه وظلم المؤمنين فنزل بهم العذاب.

الأدلـــــــــــــــــــة:

توجد أدلة عديدة تبين عقاب الله لقوم نوح بالطوفان والغرق منها:

أولاً: قوله تعالى:[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ، فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ](العنكبوت: ١٤- ١٥).

في هذه الآيات يبين الله تعالى مدة مكث نوح في قومه وأنها مدة طويلة ويبين سبب إغراقهم و أن ذلك كان بسبب الظلم وهو كفرهم بالله عز وجل وقد توعد الله وعيداً شديداً لمن أقام على الشرك فأنهم وإن أمهلوا فقد أمهل قوم نوح أكثر منهم ثم أخذوا ، وقد نجى الله نوحا وأصحاب سفينته وهم الذين حملهم فيها من ولده وأزواجهم من الطوفان فجعل سبحانه الطوفان والسفينة التي أنجاها وأصحابها عبرة وعظة للعالمين من بعدهم، وحجة عليهم.(١)

ثانيا:قوله تعالى:[وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)] (الأنبياء: ٧٦-٧٧). لقد ظهر في هذه الآية أن سبب إغراق الله لقوم نوح هو تكذيبهم لرسوله ومضايقتهم له فدعا عليهم بالهلاك لما

---

(١)انظر: جامع البيان/ الطبري ج: ٢٠ ص: ١٣٦، وزاد المسير/ابن الجوزي ج: ٦ ص٢٦٢- ٢٦٣.

كذبوه يقول الله تعالى عنه: [فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ](القمر:١٠).، [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)](نوح:٢٦-٢٧).، فاستجاب له ربه ، فأهلكهم الله عامة، ولم يُبْق على وجه الأرض منهم أحدًا فالطوفان عقوبة لهم ونصر ونجاة لنبيه والمصدقين به من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يقصدون أذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن، وجيلا بعد جيل على خلافه قال تعالى:[وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ](هود:٤٠). [١]

ثالثاً: قوله تعالى:[فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠)] (الشعراء:١١٩-١٢٠).

رابعا: قوله تعالى:[سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ(٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ(٨٢)] (الصَّافات:٧٩-٨٢).

خامسا:قوله تعالى:[فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ] (الأعراف:٦٤). يتبين في هذه الآية أن سبب الكفر هو: تعاميهم عن الحق ،(قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه).[٢]

سادساً:قوله تعالى:[فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ](يونس:٧٣). لقد انذر الله

---

(١)انظر: تفسير البيضاوي/لبيضاوي ج ٤ / ص ٢٠٩ ، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج ٥ / ص ٣٥٤.

(٢)زاد المسير/ابن الجوزي ج ٢ / ص ٥٠٠ ، وانظر: تفسير الواحدي ج١/ص٣٩٩.

عز و جل قوم نوح لكنهم كذبوا رسوله وقد ورد لفظ التكذيب في هذه الآية فجعلهم الله عبرة لغيرهم تُقص قِصتهم عبر الأجيال بإغراقهم ونجاة نوح ومن آمن به من بطشهم و أورثهم الأرض وجعلهم خلفاء فيها. (١)

سابعاً:قوله تعالى:[وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً] (الفرقان:٣٧).

وهذا العذاب الذي أصاب قوم نوح جعله الله لكل ظالم فلم يقصره سبحانه على قوم نوح يقول القرطبي:((وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ) ذكر الجنس والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسولٍ أرسل إليهم إلا نوح وحده فنوح إنما بعث بلا إله إلا الله وبالإيمان بما ينزل الله فلما كذبوه كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل إن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل لأنه لا يفرق بينهم في الإيمان ولأنه ما من نبي إلا ويصدق بسائر أنبياء الله فمن كذب منهم نبيا فقد كذب كل من صدقه من النبيين).(٢)

ثامناً:قوله تعالى:[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ(٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ(٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ(٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٤)](هود:٣٩-٤٤).

---

(١)انظر: جامع البيان/ الطبري ج: ١١ ص: ١٤٤.
(٢)انظر: الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ج: ١٣ ص: ٣١.

المطلب الثاني: عذاب فرعون وقومه بالغرق:

لقد كان عقوبة الإغراق من نصيب فرعون وقومه كذلك ، فقد انفرق البحر إلى فرقين كالجبال وفي وسطهما طريق يابس مشى فيه نبي الله موسى ومن آمن به فلما جاوزوه ووصلوا إلى الجهة المقابلة أنطبق البحر على فرعون وقومه الذين كانوا قد لحقوا بموسى وقومه عند تكاملهم في البحر [١] و الأدلة على ما حصل لفرعون وقومه هي:

أولا: قوله تعالى:[وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ](البقرة:٥٠)..

يذكر الله بني إسرائيل بأمور كانوا غافلين عنها وهي نجاة موسى والذين آمنوا معه وإغراق فرعون وقومه وهم ينظرون إلى غرق عدوهم ليكون ذلك أشفى لصدورهم وأبلغ من عاداهم[٢]. وفي هذا آية واضحة على صدق رسول الله موسى عليه السلام.

ثانيا:قوله تعالى:[فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ](الأعراف: ١٣٦).

هنا يبين الله سبحانه أن العذاب الذي نزل بفرعون وقومه كان بسبب تكذيب ما جاء به رسوله موسى عليه السلام من الحجج الواضحة ونقضهم مواثيقهم فانتقم الله – سبحانه – منهم.[٣]

ثالثا:قوله تعالى:[كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ](الأنفال: ٥٤).

---

(١)انظر: جامع البيان/ الطبري ج: ١١ ص: ١٤٤، وتفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج: ١ ص: ٩٢و: تفسير أبي السعود/أبي السعود ج٦/ص٢٤٥ – ٢٤٦..

(٢)انظر: جامع البيان / الطبري ج٩/ص٤٢.

(٣)انظر: جامع البيان / الطبري ج: ١٠ ص: ٢٤، وزاد المسير/ابن الجوزي: ج٣، ص: ٣٧١.

من الآية السابقة يظهر أن سبب نزول العذاب وغرق فرعون وقومه هو اقتراف الذنوب من التكذيب بالرسل وجحود الآيات البينات وظلمهم وهذا يتضح ببقائهم على الكفر وتكذيبهم موسى وتصديهم لحربه وهذه عادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها فأهلكهم الله بذنوبهم فبعضهم هلك بالرجفة والبعض بالخسف وآخرون بالريح وكان عاقبة آل فرعون بالغرق باليم.(١)

رابعا:قوله تعالى:[فَأَرَادَ أن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأرْض فأغرَقنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعا](الإسراء: ١٠٣).في هذه الآية تنبيه على نصرة الله لعباده المؤمنين فإن فرعون قد أراد إهلاك موسى وقومه فكان الهلاك من نصيبه هو.

وفي معنى يستفزهم قولان:

أحدهما: يستأصلهم قاله ابن عباس.

والثاني: يخرجهم قاله ابن قتيبة.وقال الزجاج جائز أن يكون استفزازهم اخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية. (٢)

خامسا: قوله تعالى:[وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ(٦٥) ثُمَّ أغرَقنَا الآخَرِينَ(٦٦)] (الشعراء: ٦٥-٦٦).

سادسا:قوله تعالى:[فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ(٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقنَاهُمْ أَجْمَعِينَ(٥٥)](الزخرف:٥٤-٥٥).

لقد استخف فرعون قومه القبط بقوله فأطاعوه واستجابوا له وكذبوا موسى وإنما أطاعوا فرعون لما دعاهم إليه من تصديقه وتكذيب موسى أنهم كانوا قوما عن

---

(١)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج٣ ص: ٣٧١.
(٢)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج٥/ص٩٥.

طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم وطبعه على قلوبهم فانتقم الله منهم بعاجل العذاب الذي عجله لهم في الدنيا فأغرقهم جميعا في البحر.[1]

سابعاً: قوله تعالى:[وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ(٤٠)](الذاريات:٣٨-٤٠).

أرسل الله عز وجل مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ بأدلة باهرة وبحجة قاطعة تبين لمن رآها أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو إليه ومنها العصا وغيرها فأعرض فرعون أشد الإعراض عن الإيمان معاندا و مستكبرا بسبب اعتزازه بملكه وقوته ومكانته.[2](وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) فبين سبحانه العقوبة التي استحقها بقوله:(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ) لكفرهم وتوليهم عن الإيمان (فَنَبَذْنَاهُمْ) أي طرحناهم و ألقيناهم في البحر فأغرقناهم فيه (وَهُوَ مُلِيمٌ) يعني فرعون لأنه أتى ما يلام عليه من الكفر والفسق.[3]

المبحث العاشر: العذاب بالطوفان و الجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم:

بعث الله تعالى رسوله موسى إلى فرعون وقومه لإخراجهم من الظلمات إلى النور فكذبوه وزادوا في أذية بني إسرائيل فبعث الله عليهم آيات بينات تدل على صدق موسى ومنذرات لهم عن الغي والظلم قال تعالى [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ(١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٣٤)] (الأعراف:١٣٣-١٣٤).

---

(٣)انظر: جامع البيان/ الطبري ج٢٥/ص٨٤.

(١)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٧:ص٢، والجامع لأحكام القران / القرطبي ج١٧:ص٤٩.

(٢)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٧:ص٣، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج١٧:ص٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج٤:ص٢٣٧.

وهذه الآيات التي صارت لقوم فرعون والسبب الذي من أجله حصلت هي:

الآية الأولى: الطوفان:

لقد سبق بيان معنى الطوفان في اللغة وقد اختلف أهل التأويل في معناه هنا فقالوا هو: المطر الشديد حتى عاموا فيه[1] ، وقال عطاء: بل هو الموت ، وقال بعضهم هو: الماء [2] وهذا عن ابن عباس والضحاك ، وعن ابن عباس أيضا قال الطوفان: الغرق وقال آخرون بل ذلك كان أمراً من الله طاف بهم. وهو عن ابن عباس كذلك ثم قال: [فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ](القلم:١٩). والأخير والله أعلم هو الراجح وهو:أنه أمر من الله طاف بهم وإذا كان ذلك جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد وجاز أن يكون الموت الذريع.[3] وذلك أنه لما قال موسى لفرعون أرسل معي بني إسرائيل أبى عليه فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئا فأهلك زروعهم فخافوا أن يكون عذابا فقالوا لموسى:[... ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ](الأعراف:١٣٤). أي نصدقك بما جئت به ولنرسلن معك بني إسرائيل وكانوا يستخدمونهم.

الآية الثانية: الجراد:

وقد نزلت بفرعون وقومه لأنهم نكثوا عهدهم فلم يؤمنوا بموسى ولم يرسلوا بني إسرائيل.

- و**معنى الجراد في اللغة:** (الجرادة بالضم ما قشر عن الشيء و التجريد التعرية من الثياب و التجرد التعري و تجرد للأمر أي جد فيه و أنجرد الثوب أي انسحق ولان والجراد معروف وهو اسم جنس والواحدة جرادة والذكر والأنثى فيه سواء).[4]

---

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٦٧.

(٢)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٩ ص: ٣٠، والجامع لأحكام القران / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٦٧.

(٣)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٩ ص: ٣٠- ٣٢.

(٤)مختار الصحاح/ الرازي ج١:ص٤٢.

- **ومعنى الجراد في الاصطلاح:**(الجراد هو: الحيوان المعروف)[1] وهو مأكول لما ثبت في الصحيحين[2] قال عبد الله بن أبي أوفى[3] غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد). [4] بعد نزول الطوفان على فرعون وقومه دعا موسى ربه أن يكشف عنهم بعد وعودهم لكنهم لم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فسلط الله الجراد عليهم فأكل زرعهم و ثمارهم [5] فلما رأوا أثره في الكلإ قالوا يا موسى أدع لنا ربك ليكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشفه عنهم.

الآية الثالثة: القمل:

أنزل الله هذه الآية على فرعون وقومه لعنادهم وعدم وفائهم بعهدهم.

معنى القمل في اللغة:

القمل معروف واحدته قملة أوله الصؤاب وهي: بيض القمل الواحدة صؤابة.[6]

والقمل هو دويبة من جنس القردان إلا أنها أصغر منها تركب البعير عند الهزال.[7]

---

(١)الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٦٨.
(٢)أخرجه: البخاري ج٥/ص٢٠٩٣، ومسلم ج٣/ص١٥٤٦، واللفظ له.
(٣)هو: علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الأسلمي أبو معاوية وقيل أبو إبراهيم وبه جزم البخاري ، شهد عبد الله الحديبية ، وروى أحاديث شهيرة ، ثم نزل الكوفة سنة ست أو سبع وثمانين ، وكان آخر من مات بها من الصحابة ، ت:٨٠□.انظر: الإصابة / ابن حجر ج٤:ص١٨.
(٤)انظر: تفسير القرآن العظيم/ابن كثير ج: ٢ ص: ٢٤١.
(٥)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٦٨.
(٦)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج: ١١ ص: ٥٦٨.
(٧)انظر: مختار الصحاح/ الرازي ج: ١ ص: ٢٣٠.

- **معنى القمل في الاصطلاح:** اختلف أهل التأويل في معنى القمل فقال ابن عباس:(القمل:السوس الذي يخرج من الحنطة) وقاله وكيع[١] و سعيد بن جبير[٢] وقال ابن زيد:(هو: البراغيث) وقال الحسن (دواب سود صغار) وقال أبو عبيدة هو ضرب من القراد. وقال آخرون منهم ابن عباس بل هو الدبي وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له.[٣]

وقد بعث الله القمل على فرعون وقومه وسلطه عليهم عندما لم يؤمنوا ولم يرسلوا مع موسى بني إسرائيل فأكلت دوابهم وزرعهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليهم.[٤] ومنعهم ذلك العذاب من النوم والقرار.[٥] فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم.

الآية الرابعة: الضفادع:

عندما أبى فرعون وقومه أن يرسلوا مع موسى بني إسرائيل وأن يؤمنوا به أرسل الله تعالى عليهم الضفادع فملئت فرشهم وأوعيتهم وطعامهم وشرابهم فكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع وإذا تكلم وثب الضفدع في فيه فضيقت

---

(١)هو: وكيع بن الجراح أبو سفيان الكوفي، سمع إسماعيل بن أبي خالد والأعمش والثوري وابن عون روى عنه ا بن المبارك ويحيى بن أدم ، ت: ١٩٧هـ. انظر التاريخ الكبير / البخاري ج٨/ص١٧٩.

(٢)هو: أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي الأمام الحافظ ، المقرىء، والمفسر، والشهيد، قال عنه علي بن المديني: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير، قيل: ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس ولا أحد ، ت: ٩٥□ ، انظر سير أعلام النبلاء/ الذهبي ٣٢١/٤، وحلية الأولياء/ الأصبهاني ٢٧٢/٤.

(٣)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٩ ص: ٣٢- ٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٦٩، وتفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج:٢ ص:٢٤٢.

(٤)انظر: الجامع لأحكام القران / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٦٩.

(٥)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٧٠، وتفسير القران العظيم/ ابن كثير ج ٣ / ص ٤٦٥.

عليهم فشكوا إلى موسى وقالوا نتوب ونرسل معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم ذلك فعادوا إلى كفرهم.[١]

الآية الخامسة: الدم:

وهذه هي الأخيرة التي وقعت على فرعون وقومه بعد نقضهم وعودهم وكفرهم بموسى.

- **معنى الدم في اللغة:**(الدم أصله دمو بالتحريك وتثنيته دميان.. الدمية الصنم والجمع الدمى وهي الصورة من

العاج ونحوه وجاء في الشعر الدمى بمعنى الثياب التي فيها التصاوير... والدامية الشجة التي تدمي ولا تسيل).[٢]

ومعنى الدم في الاصطلاح:

قال الجرجاني:(الدم رزق البدن الأقرب إليه المحوط فيه)[٣].

لما لم يتب فرعون وقومه أرسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وكان الإسرائيلي يغترف منه الماء والقبطي يغترف الدم.[٤] وكذا ما استقوا من الأنهار والآبار وجدوه دما.فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ولم يفوا له بشيء مما قالوا. وهذا معنى قوله تعالى:[وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] (الأعراف:١٣٤). فكانت آيات مفصلات متتابعات بعضها على إثر بعض لتكون علامات ودلالات على صحة نبوة موسى

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٧١.
(٢) لسان العرب/ ابن منظور ج١:ص٨٨.
(٣)التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي ج١/ص٣٤١
(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج: ٧ ص: ٢٧١.

وليكون لله عليهم الحجة ولعلهم يؤمنون فلما لم يرتدعوا أخذهم الله بذنوبهم وهو استكبارهم وكفرهم فأغرقهم في اليم.[1]

المبحث الحادي عشر: العذاب بالهجر والنبذ:

عاقب الله – عز وجل – من عصاه وخالف أمره بالنبذ وأمر بهجره وهذا شديد على نفس الإنسان لأنه اجتماعي بطبعه وممن أصابه هذا العذاب السامري الذي كان من قوم موسى فزين لهم الشرك بغياب موسى عليه السلام فكانت عقوبته أن لا يمس أحداً ولا يمسه أحداً ما دام حياً.

ومعنى المساس في اللغة: مس مسست الشيء بيدي مسا ورجل ممسوس من الجنون وبه مس والمسوس من المياه ما نالته الأيدي ويقال لا مساس أي لا مماسة.[2] ويقال مس المرأة ومماستها إتيانها والمسمسة والمسماس اختلاط الأمرواشتباهه والماس الذي لا يلتفت الى موعظة.[3]

و المماسة كناية عن المباضعة وكذا التماس قال الله تعالى: [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا](المجادلة:٣). وقوله تعالى [.. لَا مِسَاسَ..] (طه:٩٧). أي: لا أمس ولا أمس.[4]

الأدلـــــــــــــــــــة:

قوله تعالى: [قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ(٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي(٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى

---

(١)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٩ ص: ٣٤ –٤١ ، و ج: ٧ ص: ٢٦٧

(٢)انظر: العين/الفراهيدي ج٧:ص٢٠٨ ، ولسان العرب/ابن منظور ج٦/ص ٢١٧ –٢١٩ ، ومختار الصحاح/ الرازي ج١/ص٢٦٠.

(٣)انظر: العين/الفراهيدي ج٧:ص٢٠٩.

(٤)انظر: مختار الصحاح/ الرازي ج١/ص٢٦٠.

السَّامِرِيُّ(٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ(٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا(٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي(٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى(٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا(٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي(٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي(٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ(٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي(٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا(٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا(٩٨)] (طه: ٨٥-٩٨).

لقد طرد موسى السامري بعد ما حصل وبدر منه الشرك والدعوة إليه وقال له اذهب من بيننا فإن لك في أيام حياتك أن تقول لامساس أي لا أمس ولا أمس وأمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه مادام حيا وقد توعده الله بالعقوبة والعذاب بالآخرة يقول سبحانه وتعالى:[وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ]عقوبة على ما اقترفه من الشرك وأمره به.(١) وإمعانا في ذل السامري وقهره على معبوده الذي ظل عاكفا عليه وملازما له طلب منه موسى أن ينظر إلى معبوده وهو يحرق ويذر في البحر تذرية والتذرية النسف يقال فلان نسف الطعام بالمنسف إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح. (٢) فصار السامري بعد ذلك يهيم في البرية مع الوحش والسباع بعد طرده لا يمس أحدا ولا

---

(١)انظر: جامع البيان/الطبري ج١٦:ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢)انظر: جامع البيان/الطبري ج١٦:ص٢٠٨-٢٠٩ ، وزاد المسير/ابن الجوزي ج٥:ص٣٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١١: ص٢٤٠-٢٤٣.

يمسه أحد عاقبه الله بذلك وألهمه أن يقول لا مساس وكان إذا لقي أحدا يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني ،[1] وقد فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك بكعب بن مالك[2] والثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو معه - ﷺ- إلى أن نزل العفو عنهم من الله[3] ومن هذا القبيل التغريب[4] في حد الزنى.[5]

المبحث الثاني عشر: العذاب بالتيه:

معنى التيه في اللغة:

ومعنى التيه في اللغة هو:(تاه في الأرض يتيه توها و تيها و تيهانا و التيه أعمها أي ذهب متحيرا وضل وهو تياه وفي الحديث إنك امرؤ تائه أي متكبر أو ضال متحير... و التيهاء الأرض التي لا يهتدى فيها و التيهاء المضلة الواسعة التي لا أعلام فيها ولا جبال ولا آكام و التيه المفازة يتاه فيها).[6]

معنى التيه في الاصطلاح:

(تاه الرجل في المفازة... ضل عن الطريق.).[7]

يقول ابن الجوزي:(يتيهون: يحورون ويضلون).[8]

---

(١)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج٥:ص٣١٩-٣٢٠.

(٢)هو: أبو كعب عمرو بن القين بن كعب بن الخزرج الأنصاري السلمي ، يكنى أبا عبد الله، شهد العقبة الثانية واختلف في شهوده بدرا، وشهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك فإنه تخلف عنها ،يعد في المدنيين روى عنه جماعة من التابعين ، كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون الأذى عنه، ت: ٥٠ هـ. انظر: الاستيعاب/ابن عبد البر ج٣:ص١٣٢٣-١٣٢٤.

(٣)أخرجه: البخاري ج٤/ص١٦٠٣- ١٦٠٨ ، ومسلم ج٤/ص٢١٢٠-٢١٢٧.

(٤)تغريب النفي عن البلد الذي وقعت فيه الجناية يقال أغربته وغربته إذا نحيته وأبعدته والغرب البعد) النهاية /ابن الأثير ج٣/ص٣٤٩.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١١:ص٢٤١.

(٦)لسان العرب/ابن منظور ج١٣:ص٤٨٢-٤٨٣.

(٧)التعاريف/المناوي ج١/ص٢١٨.

(٨)زاد المسير/ابن الجوزي ج:٢، ص: ٣٢٩.

لقد عاقب الله بالتيه بني إسرائيل لعصيانهم أمر ه مع كثرة وتنوع النعم عليهم وفي هذا دلالة على نبوة موسى عليه السلام لعلهم بعد ها يرجعون للحق.

قال تعالى: [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ(٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ(٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ (٢٦)] (المائدة: ٢١-٢٦).

وكان من أمرهم وأمر الجبارين ما قد قص الله في كتابه فقد قال قومه له عندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة(فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون) فغضب موسى فدعا عليهم (قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ) أي: فباعد وافصل وميز(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ) فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فلما ندم أوحى الله إليه أن لا تأس ولا تحزن على القوم الفاسقين فلم يحزن[1] وقد حرمت عليهم أربعين سنة ثم أمروا بالسير إليها والتحريم كان عاما في حق الكل ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد فلما انقضت أذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم.[2]

---

(١)انظر:جامع البيان/الطبري ج: ١ ص:٢٩٦، وزاد المسير/ابن الجوزي ج: ٢ ص: ٣٢٨

(٢)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج: ٢ ص: ٣٢٩

المبحث الثالث عشر: العذاب بالقحط ، والصرم ، ونقص الثمرات:

المطلب الأول: عذاب فرعون بالقحط ونقص الثمرات:

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ](الأعراف: ١٣٠).

كان من أنواع العذاب الواقع بآل فرعون القحط والجدب عاما بعد عام وإنما أخذهم بالضراء لأن أحوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله وفي الرجوع إليه. وقد كانت السنون في بواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وقراهم فقد يبس لهم كل شيء وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر.[١] فكان ذلك اختبارا من الله بالجدب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل وعظة لهم وتذكيرا لهم لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة ويصدقوا بنبوة موسى عليه السلام.[٢]

المطلب الثاني: عذاب قريش[٣] ومضر[٤] بالقحط ، ونقص الثمرات:

ختم الله – عز وجل – الرسالة برسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– وبعثه إلى قومه والناس كافة ، وفي بداية بعثته كذبه قومه والعرب ، وآذوه وضيقوا عليه وعلى أصحابه ، فدعا عليهم لعل قلوبهم ترق وأيضاً ليتبينوا صدق الرسول– صلى الله عليه وسلم– باستجابة الله لدعائه فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا قال اللهم سبع

---

(١)انظر: زاد المسير/ ابن الجوزي: ج: ٣ ص: ٢٤٧.
(٢)انظر: جامع البيان/الطبري ج: ٩ ص: ٢٨.
(٣)(قريش وهم ولد فهر بن مالك بن كنانة الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه) المحلى لابن حزم ج١:ص٤٤.
(٤)ديار مضر قرب حران بينها وبين بلاد الروم فيها خيرات كثيرة وأهلها نصارى أرمن في الغالب وهي في جزيرة أقور بالقاف التي بين دجلة والفرات مجاورة للشام وتشتمل على ديار مضر وديار بكر سميت الجزيرة لأنها تقع بين دجلة والفرات. انظر: معجم البلدان/الحموي ج٢/ص١٣٤، و ج٣/ص٢٨٦.

كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله تعالى {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} (١٠) سورة الدخان إلى قوله {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} (١٥) سورة الدخان [١] فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله عز وجلُ {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ } (١٦) سورة الدخان قال يعني يوم بدر.[٢]

ولقد دعا صلى الله عليه وسلم ربه على مضر وكانوا أهل المشرق يومئذ وهم مخالفون له كما دعا على قريش لما رأى منهم إدبارا عن الإسلام وأبطئوا عن الإسلام بأن يجعلها سنين شدادا ذوات قحط وغلاء[٣]. فقال – صلى الله عليه وسلم–:(اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عليهم سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ من مُضَرَ مُخَالِفُونَ له).[٤] فأصابهم القحط واستأصل النبات حتى خلت الأرض منه[٥].قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت قال لمضر إنك لجريء فاستسقى فسقوا فنزلت {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} (١٥) سورة الدخان.[٦] وقد شُرِعَ الدعاء بالقحط على الكافرين لما فيه من نفع الفريقين فقد قال (اللهم أعني عليهم) لما فيه من إضعاف عدو المؤمنين ورقة

---

(١)اخرجه البخاري ج١/ص٣٤١.
(٢)أخرجه البخاري ج٤/ص١٨٢٣.
(٣)شرح النووي على صحيح مسلم ج٥/ص١٧٧، وفتح الباري/ابن حجر ج٢/ص٤٩٣، وعمدة القاري/العيني ج٦/ص٧٩.
(٤)أخرجه: البخاري ج١/ص٢٧٧.
(٥)انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج٥/ص١٧٧، وفتح الباري/ابن حجر ج٢/ص٤٩٣، وعمدة القاري/العيني ج٦/ص٧٩.
(٦)أخرجه البخاري ج٤/ص١٨٢٣.

قلوبهم ليذلوا للمؤمنين وقد ظهر من ثمرة ذلك التجاؤهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم برفع القحط كما مر في الحديث والمراد بسني يوسف قال تعالى:[ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ] (يوسف:٤٨). ما وقع في زمانه عليه السلام من القحط في السنين السبع كما جاء في سورة يوسف وقد بين ذلك في الحديث الثاني حيث قال سبعا كسبع يوسف وأضيفت إلى يوسف لكونه الذي أنذر بها أو لكونه الذي قام بأمور الناس فيها.[١] والتشبيه بسني يوسف لتشديد القحط وأنه قحط عام في سبعة أعوام.[٢] أي اجعل عذابك وأخذك عليهم بأن تسلط عليهم قحطا عظيما سبع سنين.[٣] فأراد بها المشقة و ضيق المعيشة عليهم فأصابتهم الجدوبة.[٤] والدعاء على المشركين بالقحط ينبغي أن يخص بمن كان محاربا دون من كان مسالما.[٥]

المطلب الثالث: عذاب أصحاب الجنة بصرم الزروع:

عاقب الله - عز وجل- بالصرم جنة كانت مثمرة قد جهزت ثمرتها للقطف،بسبب عصيان أصحابها فقد احتالوا على ألا يتصدقوا.[٦] وهم أصحاب بستان من الحبشة وكانوا أهل كتاب فما حصل لهم جعلهم يرجعون إلى الحق الذي جاء به رسولهم.[٧]

---

(١)فتح الباري/ابن حجر ج٢/ص٤٩٣.
(٢)انظر: مرقاة المفاتيح/ القاري ج٣/ص٣٢٤ ، وحاشية السندي على سنن النسائي ج٢/ص٢٠١.
(٣)انظر: عون المعبود/ العظيم آبادي ج٤/ص٢٢٣.
(٤)انظر: مشارق الأنوار/القاضي عياض ج٢/ص٢٨٤ -٢٨٥.
(٥)فتح الباري/ابن حجر ج٢/ص٤٩٣.
(٦)انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق/شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ج٣/ص٤٢٦.
(٧)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٩:ص٢٩.

معنى الصريم في اللغة:

الصرم: القطع البائن وجعله بعضهم عاماً يعم به القطع أي نوع كان ، والصرم: الهجران وفي الحديث (لا يحل لمسلم أن يصارم مسلما فوق ثلاث)[1] أي يهجره ويقطع مكالمته والصرم القطع البائن للحبل والعذق[2] ونحو ذلك الصرام وقد صرم العذق عن النخلة [3] أي جده والصارم السيف القاطع ورجل صارم أي جلد شجاع و الصريم الليل المظلم والصريم أيضا الصبح وهو من الأضداد والصريم أيضا المجدود المقطوع قال الله تعالى: [فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ] (القلم:٢٠). أي احترقت واسودت و الصريمة العزيمة على الشيء ، والصريم هو الذي صرمت أذنه أي قطعت. [4]

معنى الصريم في الاصطلاح:

الصرم هو: القطع والجد للزروع.[5]

والدليل:قوله تعالى:[إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧)وَلَا يَسْتَثْنُونَ(١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)] (القلم:١٧-٢٠).

---

(١)أخرجه: الطبراني في الكبير ج٢٢/ص١٧٥، وأبو يعلى في مسنده ج٣/ص١٢٦، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد١٦٨ (صحيح) ٤٠١/٣١١ ، وقال الألباني في إرواء الغليل ج ٧ / ص ٩٥:(أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٤٠٢، ٤٠٧) وابن حبان (١٩٨١) والطيالسي (١٢٢٣) وأحمد (٤ / ٢٠) من طريق يزيد الرشك عنها. قلت: وإسناده صحيح على شرطهما).

(٢)(العذق كل غصن له شعب و العذق أيضا النخلة عند أهل الحجاز..) لسان العرب/ابن منظور ج١٠:ص٢٣٨.

(٣)انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج: ١٢ ص: ٣٣٤.

(٤)انظر: مختار الصحاح/ الرازي ج: ١ ص: ١٥٢، ولسان العرب/ ابن منظور ج: ١٢ ص: ٣٣٨، والعين/ الفراهيدي ج: ٧ ص: ١٢٠.

(٥)انظر: زاد المسير/ابن الجوزي ج: ٨ ص: ٣٣٦، والنهاية /ابن الأثير ج٣:ص٢٦.

فقد أهلك الله ودمر زروع المغضوب عليهم ، وقد بين ابن عباس هيئة هذه الجنة التي وقع عليها العذاب بأنها أصبحت كالرماد الأسود،وقال ابن قتيبة: أصبحت سوداء كالليل محترقة ، وقال بعضهم: ذهب ثمرها ، فكأنه جد وقطع فأصبح هشيماً يبساً قاله السدي.[١] فقد كانت الجنة لرجل يتصدق فهلك وكان له ابناء فاقسموا بالله أن لا يتصدقوا منها بشيء على مسكين وأن يقطعوها ويجدوها في الصباح ولم يقولوا(إن شاء الله) فأرسل الله عليها طارق من أمر الله ليلاً وهم نائمون فما بقي منها شيء بل أصبحت سوداء كالليل محترقة[٢] فحرموا خير جنتهم بذنبهم. [٣]

المطلب الرابع: عذاب صاحب الجنتين بالإحاطة بثمره وفيه:

أولاً: معنى الإحاطة في اللغة:

(أحيط بفلان إذا دنا هلاكه فهو محاط به قال الله عز وجل:(وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها)أي أصابه ما أهلكه وأفسده وقوله تعالى (إلا أن يحاط بكم) أي تؤخذوا من جوانبكم والحائط من هذا و أحاطت به خطيئته أي مات على شركه). [٤]

---

(١)انظر: زاد المسير /ابن الجوزي ج: ٨ ص: ٣٣٦، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج ١٨ / ص ٢٣٩ ، وتفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ج ٨ / ص ١٩٦.

(٢)انظر: جامع البيان / الطبري ج٢٩:ص٢٩:٣٠.

(٣)انظر: تفسير القران العظيم/ ابن كثير ج ٨ / ص ١٩٦.

(٤)لسان العرب/ابن منظور ج٧:ص٢٨٠.

ثانيا: معنى الإحاطة في الاصطلاح:

قال ابن الجوزي:(وأحيط بثمره أي أحاط الله العذاب بثمره).[1] وقال القرطبي:(معنى أحيط بثمره أي أهلك ماله كله).[2]وقال الطبري: (أحاط الهلاك والجوائح بثمره وهي صنوف ثمار جنته).[3]

ذكر الله في كتابه قصة رجل له جنتان وكان متكبرًا [4] والواجب عليه مع هذه النعم أن يفوض الأمر لله ويتواضع له و يؤمن بما جاء به الرسل من توحيد الله -عز وجل- والابتعاد عن الشرك وما حصل له دلالة واضحة على سوء ما وقع منه وعلى صدق ما قال صاحبه له.قال تعالى: [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا(٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا(٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا(٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا(٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا(٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا(٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا(٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا(٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا(٤١)وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا(٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا(٤٣)](الكهف: ٣٢-٤٣).

---

(١)زاد المسير/ابن الجوزي ج٥:ص١٤٦.
(٢)الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ج١٠:ص٤٠٩.
(٣)جامع البيان/الطبري ج١٥:ص٢٥٠.
(٤)انظر: معالم التنزيل/ البغوي ١٦٣/٣.

يقول ابن كثير: (ولولا إذ دخلت جنتك هذا تحضيض وحث... أي هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله... قال رسول الله: (ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت). [1][2]

وقال القرطبي:(قوله تعالى:(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) هو توبيخ ووصية من المؤمن للكافر ورد عليه إذ قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا..فما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع).[3] فلا قدرة ولا قوة للإنسان على حفظ بدنه وماله أو دفع شيء عنها إلا بالله.[4] لكن صاحب الجنتين لم يدفع الغرور والتكبر والعجب عن نفسه بقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله لذلك وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان[5] على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل فأصبح يصفق بكفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا ولم تكن له أي عشيرة أو ولد ينصرونه ويعينونه في دفع العذاب كما أفتخر بهم وأستعز ، ينصرونه من دون الله وما كان منتصرًا.[6]

---

(١)سبق تخريجه ص٢٤.
(٢)تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ٨٥/٣.
(٣)الجامع لأحام القرآن/ القرطبي ٤٠٦/١٠.
(٤)انظر: معالم التنزيل/البغوي ١٦٣/٣، وزاد المسير/ابن الجوزي ١٤٤/٥، وتفسير النسفي/النسفي ١٣/ ١٤ ، وتفسير البيضاوي/البيضاوي ٣/ ١٠٥، وتفسير أبي السعود/أبي السعود ٢٢٣/٥، و فتح القدير/الشوكاني ٢٨٧/٣، ومجموع الفتاوى/ابن تيمية ٣٤١/١٤.
(٥)(الحسبان بالضم العذاب والبلاء وفي حديث يحيى بن يعمر كان إذا هبت الريح يقول لا تجعلها حسبانا أي عذابا وقوله تعالى(ويرسل عليها حسبانا من السماء) يعني نارا) لسان العرب/ابن منظور ج١:ص٣١٥.
(٦)تفسير القران العظيم/ ابن كثير ٨٥/٣.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وبعد ؛ لقد بعث الله في كل أمة رسولا وأرسل معه كثيرا من الآيات والدلائل المتنوعة التي تبين صدق ما جاء به ومنها إهلاك المكذبين به ونصر الرسول وأتباعه. فقال تعالى:[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ](النحل: ٣٦). وأتباع الرسل قلة فأكثر الناس كفروا بما جاء به الرسل فاستحقوا أنواع العذاب الشديد قال تعالى:[فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ](العنكبوت: ٤٠).

فمنهم من أهلكته الريح كعاد قوم هود عليه السلام ، والأحزاب الذين تحزبوا ضد المسلمين.

ومنهم من خسف به كقارون والرجل المختال بنفسه.

ومنهم من أمطر بحجارة من سجيل كقوم لوط عليه السلام ، وأصحاب الفيل.

ومنهم من قلبت مدينتهم سافلها عاليها كقوم لوط عليه السلام.

ومنهم من أخذته الرجفة كقوم صالح، و قوم شعيب عليهما السلام ، وبني إسرائيل قوم موسى عليه السلام.

ومنهم من هلك بالصاعقة كثمود ، وبني إسرائيل.

ومنهم من هلك بالصيحة كثمود وأهل مدين وقوم لوط وعاد و قوم الرجل المؤمن.

ومنهم من هلك بالظلة وهم أهل مدين.

ومنهم من مسخه الله إلى قردة وخنازير وإلى فأر وضببة ، كبني إسرائيل.

ومنهم من أغرقه الله كقوم نوح عليه السلام ، وفرعون وقومه.

ومنهم من عذبه الله بالطوفان و الجراد، والقمل ، والضفادع والدم كفرعون وقومه.

ومنهم من عذبه الله بالهجر والنبذ وهو السامري.

ومنهم من عذبه الله بالتيه وهم بنو إسرائيل.

ومنهم من عذبه الله بالقحط والصرم ونقص الثمرات كفرعون وقومه و قريش ومضر و أصحاب الجنة التي صرم الله زرعهم. وصاحب الجنتين الذي عذب بالإحاطة بثمره.

ويظهر مما سبق أن بعض الأمم قد أصابها ألوان من العذاب فقد وقع المسخ والخسف والرجفة والصاعقة والتيه على بني إسرائيل ولم يجتمع لأمة من العذاب ما اجتمع لها، وقوم ثمود اجتمع عليهم الرجفة والصاعقة والصيحة،أما أهل مدين فأهلكوا بالرجفة والصيحة وخصوا بالظلة، وأصاب قوم لوط الصيحة وخصوا بقلب مدينتهم ، ورموا بالحجارة زيادة على ذلك. وأما عاد فعذبوا بالريح والصيحة ، وعذب فرعون وقومه بالطوفان و الجراد ، والقمل ، والضفادع والدم وكان نهايتهم الغرق وكان العاقبة بالنصر والنجاة من العذاب من نصيب الرسول واتباعه.

فعلى العبد الحرص على دفع العذاب عن نفسه سواء عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة بإتباع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصـــــادر

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٨.

٣- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد . الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض.

٤- الأعلام، تأليف: الزركلي ، دار العلم للملايين، بيروت.

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٦- الأم، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣، ط الثانية.

٧- الأنساب، تأليف: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.

٨- البحر الزخار، تأليف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر: مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

١٠- التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

١١- تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -.

١٢- التبيان في تفسير غريب القرآن، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار النشر: دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر - ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي.

١٣- تذكرة الحفاظ،تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.

١٤- معالم التنزيل، تأليف: الحسين مسعود البغوي، ط/٢ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - تحقيق: مروان سوار، دار المعرفة - بيروت.

١٥- تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

١٦- تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

١٧- تفسير القران العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

١٨- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية-بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

١٩- تفسير النسفي، تأليف: النسفي دار النشر: دار الفكر - بيروت.

٢٠- تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.

٢١- التقريب، تأليف: ابن حجر ، مطبعة البابي مصر ، ط/بدون.

٢٢- تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أيمن صالح شعبان.

٢٣- تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: محي الدين بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٢٤- تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى.

٢٥- تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٢٦- التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

٢٧- التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة.

٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

٢٩- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٣٠- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٣١- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

٣٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار النشر: مطبعة المدني - مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني.

٣٣- حاشية السندي على النسائي، تأليف: نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٣٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.

٣٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.

٣٦- الدر المنثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣.

٣٨- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تأليف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص.

٣٩- ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مطبعة رضا دلهي ،ط/ بدون

٤٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤١- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

٤٢- السلسلة الضعيفة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض.

٤٣- سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٤- السنن الصغرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، دار النشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة - ١٤١٠ - ١٩٨٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

٤٥- السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١-١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

٤٦- السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

٤٧- سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

٤٨- التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: السيوطي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٩- صحيح الأدب المفرد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ط/٢.

٥٠- صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.

٥١- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٢- صحيح وضعيف سنن الترمذي ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٥٣- صفة الصفوة، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.

٥٤- ضعيف الترغيب والترهيب ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ،دار النشر: مكتبة المعارف-الرياض.

٥٥- ضعيف الجامع تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ،دار النشر: مكتبة المعارف-الرياض.

٥٦- طبقات ابن السعد، تأليف: الزهري، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.

٥٧- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنوي، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

٥٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م، الطبعة: الثانية.

٦٠- غاية النهاية في طبقات القراء، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية.

٦١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٦٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

٦٣- الفردوس بمأثور الخطاب، تأليف: أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، دار النشر: دار الكتب العلمية -

بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول.

٦٤- الفهرست، تأليف: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

٦٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر:المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.

٦٦- القضاء والقدر، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دار النشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر.

٦٧- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، تأليف: عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

٦٨- الكافي في فقه أهل المدينة، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى.

٦٩- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

٧٠- كتاب العين ، ٨ مجلدات، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي.

٧١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٧٢- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٧٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

٧٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود عمر الدمياطي.

٧٥- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

٧٦- المجتبى من السنن، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

٧٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت - ١٤٠٧.

٧٨- المحلى، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار النشر: دار الآفاق الجديدة-بيروت، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي.

٧٩- مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.

٨٠- مراتب النحويين، تأليف: أبي الطيب اللغوي ، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثانية.

٨١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.

٨٢- مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه، تأليف: إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج أبو يعقوب التميمي المروزي، دار النشر: دار الهجرة - الرياض / السعودية - ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خالد بن محمود الرباط - وئام الحوشي - د. جمعة فتحي.

٨٣- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٨٤- مسند أبي يعلى، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.

٨٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر.

٨٦- مسند الشهاب، تأليف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٨٧- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف: القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

٨٨- المصنف، تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٨٩- معجم أسماء الأشياء، تأليف: أحمد بن مصطفى الدمشقي، دار النشر: دار الفضيلة - القاهرة.

٩٠- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى.

٩١- المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٩٢- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٩٣- المعجم الوسيط (١+٢)، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٩٤- معجم مقاييس اللغة، تأليف: ابن فارس ، دار النشر: دار الفضيلة - القاهرة.

٩٥- المغرب في حلى المغرب، تأليف: ابن سعيد المغربي، دار النشر: دار المعارف- القاهرة - ١٩٥٥، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. شوقي ضيف.

٩٦- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد، دار النشر: دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٩٧- مناقب الشافعي، تأليف: البيهقي ، دار صادر - بيروت، ط/١.

٩٨- منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٩٩- موضح أوهام الجمع والتفريق، تأليف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي.

١٠٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

١٠١- النبوات، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٨٦.

١٠٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

١٠٣- هناد في الزهد ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٦٧.

١٠٤- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية-دمشق، بيروت - ١٤١٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

١٠٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار النشر:دار الثقافة-لبنان، تحقيق: إحسان عباس.